

أفكارنا

# صديقي فوق الشجرة

بقلم:

عبد التواب يوسف



دار المعارف

عبد التواب







صديقي  
فوق الشجرة



# أفلاذنا

٣٥

## صديقي فوق الشجرة

General Organization of the Alexandria Library  
سلك كاتيب الترويجى

ترمود هايوجن

الفائز بجائزة اندرسون العالمية فى أدب الأطفال ١٩٩٠

بقلم : عبد التواب يوسف



دار المعارف

رسم الغلاف : محمد أبو طالب

## هذه الرواية

هذه أول مرة يترجم فيها عمل لواحد من الفائزين بجائزة أندرسون العالمية فى أدب الأطفال - وهى تقابل نوبل فى أدب الكبار - وهى تمنح كل سنتين منذ عام ١٩٥٦ لكاتب من الأحياء ، وقد حصل عليها حتى الآن ١٨ كاتبًا : ثلاثة من أمريكا ، واثنان من كل من ألمانيا والسويد ، وواحد من كل من إنجلترا وفرنسا وفنلندا وإيطاليا والدنمرك والاتحاد السوفيتى وهولندا والنرويج والنمسا .. وأيضاً أستراليا .. والبرازيل ..

ونعرف عن يقين أن أسماً واحداً من أسماء هؤلاء الأعلام الذين حصلوا على هذه الجائزة لم يصل إلى أسماع كتاب أدب الأطفال في وطننا العربى ، ولا إلى الباحثين والدارسين لهذا الأدب ، إذ أننا فى عزلة كاملة عما يجرى فى هذا المجال عالمياً ، ناجمة عن جهد لا قدرة لنا على بذله ، وجهل يصور لنا أن هذه « التبسيطات » التى تكتب لأطفالنا أدب أو شىء من هذا القبيل .. ويتناول البعض قائلاً إن أدبنا يضارع ، بل ويسبق أدب الأطفال العالمى ، دون أن يقرأ هؤلاء كتاباً واحداً عن هذا الأدب : تاريخياً أو معاصراً .. وهذه مأساتنا فى مجالنا أو سواه .. ولعل هذا هو السبب فى أن سطرّاً واحداً لم يكتب فى الموسوعات العالمية عن أعمالنا للأطفال ، وأن أسماً واحداً لم يصل إلى صفحات من يكتبون للأطفال على مستوى العالم .

وتورمود هاويجين كاتب نرويجي ، فاز بهذه الجائزة عام ١٩٩٠ ..



والجائزة تمنح لكاتب تكون أعماله قد أضافت جديدًا إلى أدب الأطفال  
العالمى .. وتعتبر أكثر جائزة عالمية للكتاب والرسامين .. وهذه أول مرة  
تمنح لكاتب من النرويج ، وإن كانت قد منحت لاثنتين من السويد هما  
استريد لنديجرين ١٩٥٨ ، وماريا جريب ١٩٧٤ .. ولكاتبة من الدنمرك  
هى سيسيل بودكر ١٩٧٦ .

وتورمود هاويجين من مواليد ١٩٤٥ ، نال من قبل ذلك عدة جوائز في بلاده وعلى المستوى العالمى .. حصل عام ١٩٧٩ على جائزة عن كتابه طيور الليل ، وعام ١٩٨٦ حصلت أعماله على جائزة النرويج فى أدب الأطفال ، وفى عام ١٩٨٧ حصل على جائزة أحسن كتاب صدر فى أوروبا فى ذلك العام .. وقد بررت اللجنة منحه جائزة أندرسون قائلة .. :

« تعتبر أعمال هذا الكاتب قمة في مجال أدب الطفل ، وعلى مستوى رفيع من العمق والخصوبة ، وهو يكتب ببراعة واقتدار ، وببساطة تذهل القارئ الصغير والكبير .. وقد ترجم إلى ١٥ لغة عالمية .. وهو يغوص عميقاً في المشكلات النفسية للأطفال ، وقادر على التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم التي لا يهتم لها الكبار ولا يقدرونها حق قدرها .. وهو في نفس الوقت يبدى لونا من التعاطف مع الكبار كما يتناول بالتحليل علاقاتهم المعقدة مع آبائهم ، وذلك من خلال مواقف مثيرة ، وأسلوب شاعري غاية في الجمال والعدوية يعبر به عن الحياة اليومية التي يحاول أن يعطيها بعداً أعمق .. إنه يكتب عن الاتصال والانفصال ، عن الخوف والأمل ، والصراع من أجل تأكيد الهوية والخصوصية ، والذي هو معركة حياة أو موت .. وكتابات تمحو فكرة المراحل العمرية ، وهو يتبنى وجهة نظر الأطفال ، وشاعريته وتكثيفه للأحداث تعتبر علامة مميزة في كل أعماله ..







لا يفوتنا أن نذكر أن ليسبيث زويرجير - من النمسا - قد فازت بجائزة  
هانز أندرسون في الرسم .. وهي من مواليد عام ١٩٥٤ ولها رسوم رائعة  
لأعمال جريم وأندرسون وديكتر وأوسكار وايلد ، و أو . هنرى ..

عبد التواب يوسف

إيفا ، ومارتن ، ونينا : أم وأب وطفلة .. أسرة .. عائلة سعيدة ، لديهم تقريبًا كل ما يحتاجون إليه : بيت ، وسيارة ، وتلفزيون ملون ، وبيت ريفي يقضون فيه الإجازة .. وعندهم فوق هذا : بعضهم البعض !

الشفاه المبتسمة تكشف عن السعادة ، ومارتن يقول :

- أنت محظوظة يا ابتى .. هناك ابتسامات لك فى كل مكان ..

فابتسمى فإذا لم تبتسمى الآن ، متى يكون ذلك ؟

والسعداء يتسمون .. والزوجان مارتن وإيفا مبتسمان باستمرار إذا ما كانت نينا بينهما ، لكن عيونهم قليلاً ما تبسم .. هذا ما لاحظته نينا !

إذا نسيت أن  $1 + 1 = 2$  ، فيجب ألا تنسى أرق شيء : أغنية من أجل نينا قبل النوم ، عندما كانت صغيرة .. ونينا لطيفة إذا ما استجابت إلى ما تقوله ماما وما يقوله بابا ، وهي سيئة إذا استجابت إلى نينا ..





لا ترتكب مثل هذه الأشياء ، وهى تضيق بهذه القرية التى تأتى وتدعى أنها نينا وترتكب هذه الأمور ، لأن نينا تريد أن تكون محبوبة .

— A —

۱۰۸  
 ان نينا ورثت شكل ذقنها من خالتها ريتا ، وورثت شكل حدود عمتها  
 اوتو .. وورثت شكل اذني جدتها ، وأصابع أقدام جدها .. وعن أبيها  
 ورثت عينيه ومن أمها شعرها .. وساقاها شبيهان بساقي حيتا ، كما أن  
 ظهرها مثل ظهر العم أوولى .. إذن نينا لا شيء .. ليس فيها شيء من  
 عندها !

- 9 -

و ذات مرة انطفأت الأنوار ، وكان مارتن مع نينا فى الصلاة بينما كانت  
إيفا فى المطبخ .. والهدوء يغمر البيت ..

- مارتن .. ولم يجب الأب - مارتن ..

لم يكن هذا هو صوت إيفا ، بدأ كأنما هو صوت شخص آخر ..  
وهبت نسمة باردة على الصلاة ، ثم عادت الأضواء مرة أخرى .. قال  
مارتن :

- ما من شيء يمكن أن يشير الخوف

قالت إيفا : لم أكن خائفة ..

لكن نينا كانت تعرف أن أمها كانت خائفة !

إنها تتذكر فترة رهيبة .. كانت في السادسة من عمرها حين غادرت البيت ولم تعد .. هي لا تستطيع أن تتذكر أكثر من ذلك ، ولا تدري لماذا حدث هذا .. غير أنها لم تنسَ أن الليل جاء ، وحل الظلام ، وأنها كانت وحيدة ، تبكى ، والتقى بها واحد من رجال الشرطة عاد بها إلى البيت .. كانت النوافذ مضاءة ، وكانت أيضا تبكى ، وقد وقف مارتن وراء المقعد الذي تجلس فيه ، وقالوا لها :

- كيف تفعلين بنا هذا ؟ لماذا تسبين لنا كل هذا الفرع ؟

وعقوبت بشدة ، وأرسلت إلى فراشها دون كلمة تطيب خاطرها ، وبدون طعام العشاء ، أو ريشة خفيفة على خدنها وكتفها ، أو حكاية ..

لقد حدث شيء ما لنينا في هذا اليوم ، مازالت لا تعرفه ، وربما أدركته ذات يوم .

هناك أشياء كثيرة لا تتذكرها نينا .. مرة ، جاءت بها أصوات صاخبة غاضبة من وراء باب مغلق ، كما ترمى إليها بكاء إيفا - أمها - وهى وحدها فى غرفة النوم ، ومرة امتد الصمت طويلاً ما بين أبويها مارتن وإيفا .. حدث هذا ، فجأة .. ولم تشر إيفا ولم يذكر مارتن شيئاً عن هذا لنينا .. ربما يكون كل هذا مجرد خيالات وأوهام لأنهم أناس سعداء !



- ١٢ -

- عندما كنت طفلاً .. هكذا يبدأ مارتن حديثه ، عند ذلك تنظر إليه إيفا فى ضيق ، وتقول : إنك تبدو كأنما قد أصبح عمرك مائة عام ! .. عند ذلك يتوقف مارتن عن الكلام ، ويغادر الغرفة .

- ١٣ -

قالت إيفا يوماً وهى تنفض الغبار عن إطار صورته :  
- هذا أبى وهذه أمى يانينا .. هل تريتنى أشبه والدتى ؟  
تطلعت نينا للصورة طويلاً ، وهزت رأسها ..  
قالت إيفا فى صوت خفيض : إنى أرجو ألا أكون فعلاً شبيهها !  
ولم تفهم نينا ما تقصده أمها ..

- ١٤ -

فى الساعة الثامنة من مساء العاشر من يوليو حدث شىء لا يمكن أبداً أن ينساه مارتن أو إيفا أو نينا .. كان يوماً رائعاً بالنسبة لنينا : كانت تلعب مع سيلفيا وجورين ، ولم يحدث شجار بينهم قط ..  
قالت سيلفيا : هل أراك غداً ؟ ! ردت نينا فى صوت بهيج : طبعاً ..

- ١٥ -

كانت نينا قد نسيت أنهم فى الغد سيكونون فى بيتهم الريفى من أجل قضاء الإجازة .. تذكرت هذا عندما عادت للبيت ، وهمست لنفسها ..

~~~~~ ١٣ ~~~~~

- ليست لي أدنى رغبة في الذهاب

نظر إليها مارتن وإيفا ولم ينطقا بكلمة واحدة ، وساد صمت ثقيل ،  
 قالت إيفا على أثره :

- يجب أن ترتبي حقائبك ..

- حاضر یا امی ..

واختفى أثر الكلمات التي تفوهت بها !

وتصرف الأبوان وكأنهما لم يسمعاها ، ومضى كل شيء على ما يرام ..  
لقد تفوهت نينا بهذه العبارات فى الساعة الثامنة من مساء العاشر  
من يوليو ، وكان عمرها فى هذا الوقت عشر سنوات وشهرين ..  
كانت على يقين من أنها أخطأت .. كما كانت على ثقة - فى نفس  
الوقت - من أنها لم تخطئ .. ومضى وقت طويل قبل أن يتسلل  
النوم إلى عينيها ..

- 19 -

قالت إيفا : ها قد حان وقت قص الحشائش ، ودهان سور البيت ..  
قالت مارتن : ولا بد من التخلص من أوراق الشجر المتساقطة وإصلاح  
مقاعد الحديقة ..

قالت إيفا : إنها مهمات ضرورية فى إجازاتنا .. وهى متعتها الحقبة !  
كانت نينا قد استغرقت فى نومها فى المقعد الخلفى من السيارة ، وهى  
تنطلق إلى داخل الصيف !







- مارتن ..

أسقطت إيفا من بين يديها ما حملته من حقائب ، وجرت إلى داخل البيت ومن ورائها نينا .. ثم وقفاً عند الباب ، وصاحت إيفا :

- مارتن .. أين أنت !

جاءها الرد من غرفة النوم : أنا هنا

قفزاً درجات السلم ، وتوقفت إيفا عند الباب ، قائلة ..

- مارتن ، ماذا ..

ثم توقفت عن الكلام ، وأطلقت صيحة قوية ، وسألت ..

- هل الحل كما هو عليه منذ دخلت ؟

قال مارتن فى صوت خفيض : نعم

دفعت نينا أمها من طريقها ودخلت إلى الغرفة ..

يبدو أن شخصاً ما قد نام فى السرير الكبير ، فقد تكومت الملاءة من فوقه وعلى المنضدة التى عند حافة السرير كانت هناك عدة قطع من الشيكولاته ، قطعة منها أكل نصفها ، وانحنى مارتن ليلتقط زوجى حذاء رياضى .. قالت إيفا :

- ماذا جرى فى الدنيا ؟ !

هز مارتن رأسه وقال : لا أدرى

وتبادلا النظرات ، كل للآخر ، وتطلعا معاً ناحية نينا ، التي أحست بما يشعران به من اضطراب .. وهبت نسمة باردة على الغرفة .. لم يكونا قد لاحظا أنها تراقبهما لم تكن معهما فى هذه اللحظة ، كانت خارجها الآن ، وانتابتها رعدة خفيفة .. إن هذا يحدث للناس الآخرين ، وتقرأ عنه فى الصحف ، لكن لا يمكن أن يحدث لهم ..

- ۲۱ -

قالت إيفا : هذا مستحيل ، لكن يبدو أن أحداً كان يعيش في بيتنا ..  
 هز مارتن رأسه ، وهو يتساءل : لكن من هو :

- إني لم أَر في عمري شيئاً كهذا .. لا أكاد أصدق عيني

قال مارتن :لابد من إطلاع الشرطة .. هذا شيء كان يجب ألا يحدث ..  
إنه بيتنا وليس من حق أحد أن يقيم فيه إلا بإذتنا ..

قالت إيفا : ماذا لو .. لو أنهم مازالوا هنا ؟

ولم يقل أحد منهما شيئاً ، لفترة قصيرة ، لكنها امتلأت بوقع أقدام متلصصة وهمسات صغيرة ، ومضت نينا داخل الغرفة لتقف بين أبويها ..

قال مارتن : سأفتش البيت .. ابقيا هنا حتى أعود

كانت غرفة نينا فارغة .. واندفع مارتن بعنف يهبط السلم كأنما يحاول أن يطارد شخصاً ما ، ويخيفه ، وسمعه يجرى فى غرف الطابق الأسفل ثم هدأ وقع الأقدام ، وعاد مارتن ليعلن لا شيء .. ولا أحد ..

كان الحذاء الكوتش يبدو فى لون أزرق ، فى وضعه على الأرض ، كان ضخماً .. ومتجهاً ناحية نينا .. وعندما رفعه مارتن من مكانه ظهر وكأنه خاص بأقدام عملاق .. الآن بدأ يظهر حذاءً عادياً ، بل « ودوداً » .. هل هو « خطر » ؟ .. لم تكن نينا متأكدة ، وكان غريباً أن يتجه إليها .. ما خطورته ؟ .. إنها تستطيع لو قطعت أربع خطوات أن تمسك به .. وفعلاً ، تقدمت نحوه .. ولمسته .. كان غريباً ولزجاً ، ويكاد يلتصق بأصابعها .. كان فعلاً مثل أحذية الرياضيين ، لكن فيه شيئاً غريباً ، مختلفاً ، هو الذى أخاف إيفا ومارتن .. كانت هناك كتابة باللون الأحمر على الفردة اليمنى ، وكانت غير واضحة ، لكن حروفها كانت بعد قليل كلمة واحدة : « زيلن » .

صاحت الأم بعصبية : نينا ، دعى هذا الحذاء الفظيع .. اتركه .. ألقه من يدك فوراً .

اضطربت نينا ، وأسقطت الحذاء ، كأنما كان من الممكن أن بعض يدها .. وتطلعت فى فزع إلى أمها ، كانت تحرق فيها بغضب ، ودون أن تنطق بكلمة ..

المنزل الصيفى يمتلئ بالنور ، خلال النهار كانت هناك الشمس ، وبالليل تتدفق إليه أضواء القمر .. غرفه بالنهار ذهبية ، أما فى الليالى غير القمرية ، فقد كانت الستائر تسدل على نوافذه ، وتسود الظلمة كافة جنبات البيت ..



هناك مكان وحيد ، هادئ ، وآمن ، ومظلم فى هذا البيت .. اكتشفته  
 نينا ، وأعلنت أنه خاص بها .. كان ما بين الطابق العلوى والسفلى .. مكان  
 منعزل ، صالح لأن يجلس فيه المرء ويفكر ويحلم .. وكانت نينا خائفة من  
 الظلام الكثيف ، لكن الظلام الخفيف تحت السلم كان يُشيع الأمن  
 والطمأنينة .

## زین

كانت الكلمة تلمع في الظلام من تحت السلم ، وتشع رائحة كالازهار مع نور الصباح ، ويبدو طعمها مثل آيس كريم فانيليا ..

— زیلن

إنها تبدو وكأنها كلمة جاءت من قصة خرافية .. كأنها « افتح يا سمسم »  
أو « ادرا كادبرا » أو « هوكس بوكس » .. كلمة تفتح أبواب الكنوز  
المدفونة في الكهوف .. كنوز الحكايات الخيالية .. لكنها هنا « زبلن »  
موضوعة فوق حذاء رياضى لونه أزرق .. ولم تستطع نينا أن تهمس  
بالكلمة فى صوت عال .. ربما حملتها إلى جبال مهجورة مسحورة بعيدة ..  
الأفضل أن تكون حريصة ..

زبلن - تألقت الكلمة .. أغلقت نينا عينيها وتركت الكلمة تتسرب  
إلى أعماقها .. ما أغرب ما حدث .. شعرت أن الكلمة سقطت في مكان  
ما بداخلها !



كانت غاضبة ، وفاقدة لأعصابها .. قال مارتن بضيق :

- لا .. نحن نستطيع أن نحمل أنفسنا ضد هؤلاء الغرباء الذين يهددوننا ..  
ويجب أن نعتمد على أنفسنا في ذلك ..

**قالت إيفا : وماذا عن غرفة الحديقة ؟**

- أنت صبح ! .. نسينا أن نلقى عليها نظرة ..

وخرجنا في ضوء النهار ، وكانت النسمة حلوة ، والجو ممتع وجميل .

- ۲۸ -

دخل مارتن وإيفا غرفة الحديقة .. ولم يجدا نينا معهما بالخارج ..  
كانت قد مشت فى الحديقة ، ومضت إلى السور الواقع خلف البيت ، فلم  
يرياها ..

وتطلعت نينا إلى الممر الذى ينعطف ليمضى مظلمًا تحت الأشجار الكثيفة .. كان طويلًا طويلًا .. ووقفت ساكنة ساكنة .. وفجأة شعرت بشيء .. هناك من ينظر إليها ، ويحدق فيها .. أحست بالنظرات ثابتة ، تكاد تخترق ظهرها ، وتنفذ من عنقها ، فارتعشت .. وأدارت رأسها ببطء .. لا أحد .. لا شيء .. لكنها تحس بأن هناك من يرقبها ، وينظر إليها ، حاولت أن تواجه هذه النظرات بمثلها فى تحد ، غير أنها لم تستطع أن تعرف من أين تأتيها لترد عليها ، وتركت عينيها تستكشfan الحديقة .. حدثت فى الشجيرات الكثيفة الأغصان ، وحاولت أن تخترق ببصرها نباتات الزينة المزروعة فى الحديقة .. وهمست : اخرج .. لكن أحدا لم يخرج .. ووقفت وظهرها إلى السور ، تتطلع إلى الممر ، والأشجار الكثيفة



والظلام من تحتها ، وبدا كأنما مضى النهار وأقبل الليل ، وأصبحت الريح أقوى وأشد ، ورجعت الطيور إلى أعشاشها ، وفجأة لحت كأنما شيئاً ما يزحف فى الممر .. أحست إيفا بالخوف وكذلك مارتن .. يبدو أنه من الأفضل أن يكونا بالداخل .. إنه أكثر أمناً .. إن الأعين التى تتطلع إليها تجعلها سجيئة .. لابد أنها ( عيون زيلن ) .. كانت تعتقد أنها « صديقة » .. لكن هذه عيون شريرة ، قاسية .. إيفا ومارتن قالا كلاماً صحيحاً .. ليتهما قالا هذا قبل أن يزحف عليها هذا الشيء الأسود .. سمعت صوت مارتن ينادى ..

– نينا

هدأت نينا ، وأصبح فى مقدورها أن تحرك قدميها من جديد ، بل وابتسمت .. إن الشيء الأسود الذى زحف من خلفها فى الممر ، لم يكن سوى آثار بركة ماء صغيرة جففتها الشمس ..

قال مارتن فى غضب :

– نينا ، ها أنت !! ألم تقل لك ماما أن تبقى معنا ؟

لم تبد اهتماماً كبيراً بغضب أيها ، واتجهت إليه ، وهى مازالت تشعر بالأعين التى تنظر إليها ، لكنها ما عادت توليها اهتماماً ، إذ ها هو مارتن قد جاء لينقذها ..

– ٢٩ –

هل تبقى أم تغادر المكان ؟

إن بيتنا تكتفه المخاطر ، وتعشش فيه الأسرار على هذه الصورة ، ويجتاحه الخوف والذعر بهذه الشكل ، لا تطيب الإقامة فيه ..

~~~~~ ٢٢ ~~~~~

- من الأفضل من أجل نينا ..

قال مارتن : لكن هذا البيت بيتنا . نحن نملكه . هل نسمح لهؤلاء  
المقتحمين أن يرهبونا ؟ يجب أن نقف في مواجهتهم ، وأن ندافع عن  
أنفسنا ، ولن نستسلم .. أى عالم هذا الذى نعيش فيه إذا أفرغتنا هذه  
الأمر الوضيعة ؟ إننى سأحيكما بحياتى إذا لزم الأمر .. إنى أرى أن  
نبقى ..

جلست إيفا ونينا على الكنبه .. وهزت إيفا رأسها بالموافقة ، وكذلك  
نينا ..

- ٣٠ -

لم يكن ذلك لأن مارتن كان شجاعاً .. وليس لأنه أعلن أنه سيحيهما ..  
ولا لأنه تكلم فى ثقة واعتداد .. نعم ، كلها مجتمعة كانت تدعو للبقاء ..  
غير أن نينا كانت تريد أن تبقى لسبب أقوى .. إنها تلك الكلمة ..

- زيلن

- ٣١ -

قام مارتن بتغيير كل الأقفال فى البيت ، واطمأن إلى أن جميع النوافذ  
سليمة ، ومغلقة بشكل جيد ، وكذلك الأبواب .. وفحصها مرة أخرى  
ليتأكد من ذلك ، ووعد بأن يظل يقظاً طيلة الليل وترك نور الصالة مضاء  
وتركت الأبواب بين غرفتى النوم مفتوحة .. كان من الأفضل ان يناموا  
والنوافذ مغلقة ..

وليات الليل ..

فجأة ، صحت نينا من النوم ، سمعت صوت صغير يأتيها من الحديقة ..  
وقفز مارتن إلى جوارها بأسرع ما يمكن ..

سألت أيضا : ماذا هنالك ؟ وكررت نينا نفس السؤال ..

أجاب مارتن: لا أدري .. قد يكون حيواناً ما ..

قالت إيفا : لا .. إنه صاحب الحذاء .. ربما اقتحم علينا البيت ليسترده  
وليسترجع قطع الشيكولاته ..

كان صوتها قد ارتفع ، وبدأ مختلفاً ، إلى أن تلاشى ، وأحست نينا أن صوت أمها قد جعل الأشباح خارج البيت أكثر سواراً وانتشاراً ..

قالت أَيْفَا : إنه هو .. وفقدت صوتها .

ولم تفکر نینا إذا ما کان هو ، أو هی ، أو هم .. وعندما استعادت إیفاء صوتها .. صاحت :

- يجب أن نصنع شيئاً يا مارتن !

**قال مارتن : لست أرى شيئاً ..**

خطر ببال نينا أنه « خفى » .. إن هناك شيئاً ما فى الحديقة ، ومن الممكن أن يتسلل عبر الشقوق الموجودة فى الجدران ، ويصبح داخل البيت ..

ابتعد مارتن عن النافذة ، وقال :

- نينا ، من الأفضل أن تأتي لتنامي معنا بقية الليلة ..

وعادت إلى إيفا ، ووقفت نينا وذهبت إلى النافذة ..



كانت الحديقة رمادية ، وكل شيء فيها يهتز ويتأرجح ، وقد وقفت الأزهار .. بلا لون ، وبدت قسم الأشجار أكثر سودا ومن روائها السماء بيضاء فضية .. ولحت شبحاً يتعد عن الشجرة الكبيرة .. إنها من نوع القيقب .. أو « مابل » .. لم تشعر بالخوف ، ولم تكن عصبية ، وبدأ كأنما كانت تتوقع أن ترى هذا الشيء .. بقى الشبح ثابتاً بعض الوقت .. هو شيء أبيض .. ورفع وجه نفسه نحو النافذة ، وتأكدت من أن النظرات التي كانت تصوب إليها خلال النهار وكانت حقيقة ، ولوحت يد إليها .. نعم ، إليها .. ثم تحرك الشبح ، وأصبح جزءاً من الشجيرات الصغيرة .. نينا ، هل ستأتين ؟

نعم ..

وأحست بنفسها خفيفة وغريبة .. كانت كأنما تهتز وتتأرجح هي الأخرى - مثلها مثل الحديقة والأشجار والشبح في ظلام الليل .. لقد أعلن ( شبح زيلن ) عن نفسه .. إنه يريد شيئاً منها .. كانت خائفة ، ولم تكن خائفة ! .. ونامت ما بين مارتن وإيفا ، وبعد أن استغرقا في النوم ، نظرت إلى الظلام الشديد وشعاع صغير من النور ينبثق بداخلها ..

في صباح اليوم التالي لم تكن هناك آثار أقدام في الحديقة . لا شيء هناك ، كأنما لم يكن هناك أحد ، وكأنما ذاب الشبح في ظلام الليل .. قالت إيفا ومارتن ..  
- غريبة





الزهور ، ونظرت إلى أبيها وهو يميل على سور الحديقة .. كانا كذلك منذ بعض الوقت ، وكأنما كل شيء على ما يرام وفى أمان وسلام .. دون أن يشكا قط فى أن الأمور قد تغيرت تمامًا فى ثانية واحدة .. وجاءها صوت من فوق الشجرة !

- ٣٧ -

- أخيرًا .. لقد ظننت أنك لن تأتى مطلقاً ..  
نظرت إلى أعلى فى رعب ، ونظرت فى فرع إلى تحت ..  
- أعرف أنك رأيتنى ، لكننى رأيتك قبلها  
لم تقل نينا شيئاً .. لم تكن نينا هى التى تقف تحت الشجرة .. لم تكن نينا هى التى يوجه إليها الحديث ..  
- كنت أجلس أعلى الشجرة عندما وصلتكم أمس ..  
لم تفتح نينا فمها بكلمة .. وكان مارتن يطفى السور وإيفا تقتلع الحشائش ..  
وجاءتها من فوق الشجرة تنهيدة ، ثم سؤال : هل تستطيعين الكلام ؟  
وهز شخص ما رأسه .. لا بد وأن تكون نينا هى التى فعلت ذلك ..  
- كنت أخاف أن تكونى بكاء صماء ، بلا صوت على الإطلاق ..  
هل يمكن أن تقولى نعم ..  
- نعم ..

هكذا ردت نينا فى صوت غريب ، قادم من بعيد ، سمعته نينا ..

~~~~~ ٢٧ ~~~~~









- لا أجرو .. لا أستطيع !

- قال لها : ألا يمكنك أن تحاولي ؟

فجأة اعتدلت إيفا في مكانها ، ونظرت إلى نينا ، قائلة : ماذا تفعلين  
عندك ؟

ردت نینا : لا شیء ..

إذن ، الأمر واقع .. واقع مثل كل شيء حولها .. أضافت الأم :

- يبدو أنك تتحدثين إلى الشجرة .. لماذا لا تجدين لنفسك شيئاً تصنعيه ؟

- سأفعل يا أمي ..

همس صوت من أعلى الشجرة : لماذا لا تحاولين ؟ .. هو أمر ليس  
بخطير .. أنا متأكد من ذلك .. وإذا لم تأت به ، فإنني لا أعرف إذا كنت  
سأحدث إليك أم لا .. تذكرى هذا ..

ومضت في رأسها فكرة .. شعاع ضوء صغير .. ومرت بها رعشة بسيطة .. استدارت نينا وسارت عبر الحشائش ..

ناداها مارتن قائلاً : إلى أين أنت ذاهبة به .. وصل إليها صوته وكأنه  
صدى ..

- سأدخل للحظة قصيرة ..

**قالت إيفا فيما يبدو : لماذا ؟**

- سَاحِضِر كِتَابَا ..

ومع كل خطوة ، راحت تغادر الحقيقة والحديقة ، تاركة أمها وأباها ..

كان البيت الصيفى بيتاً للأحلام .. فتحت نينا باب الأحلام ، ودخلت إلى الحلم .. سبحت فى الهواء عبر درجات السلم ، وتحركت قدماها دون أن تلمس الأرض .. أذرع بطيئة ، وأقدام أيضاً بطيئة .. وانفتح باب غرفة النوم من ذات نفسه ، كأنما كان ينتظر قدومها .. كذلك كان الحذاء قابلاً ينتظرها فى ضوء أزرق ملاً الغرفة كلها .. وأصبح لها أذرع زرقاء وأرجل زرقاء كذلك .. كان الحذاء يشير إليها ويتجه نحوها .. أمامه .. كان يلمح ويشع مثل كلمة ( زيلن ) نفسها ، ذاتها .. كانت الحروف الحمراء واضحة الآن .. وانقلبت يداها بيضاء ثلجية .. وفى ببطء شديد امتدت يداها أو امتدا من ذاتهما نحو الحذاء ، كأنما يتحركان فى الماء .. ولمست الحذاء .. فى البداية كان جافاً وبارداً ، لكن اللون الأزرق تكاثف ، وأصبح الحذاء ناعماً ، كالحلم .. وفى ببطء شديد أمسكت به ، ووضعت تحت قميصها .. وخرجت من الغرفة ، إلى حجرتها .. وهبطت السلم بكومة من الكتب ، ثم انطلقت إلى ضوء الشمس خارجة من الحلم !

سألته أمها فى دهشة : هل أتيت معك بكل كتبك ؟ !  
قالت فى صوت غير واضح : نعم .. لا أعرف أيها أريد أن أقرأ ..  
وخطت بقدميها فوق الحشائش ، ومن فوق رأسها أغصان الشجر ،  
ووقفت تحت الشجرة الكبيرة .. شجرة الماييل .. ووضعت كتبها .. وعادت  
إيفا تجتث الحشائش ، ومازال مارتن منهمكا فى طلاء السور .. وأخرجت

نينا الحذاء ومدت به يديها من بين الأغصان ، وأخذه الولد .. ولمست يده  
يدها .. إذن هي لا تحلم .. نضج جبينها بالعرق ، وكذلك يداها ، وشعرت  
بألم فى معدتها .. وأحست بحاجة شديدة إلى أن تجلس .. وهمس الصوت  
من فوق الشجرة ..

- ماذا بك ؟

لم تجب . نظرت إلى أمها وأبيها ، مازالا يعملان ، وكأنما لا شيء  
يجرى ويحدث .. هما لا يشكان قط فى أن هناك ولدًا جالسًا فوق الشجرة ..  
ولا يتصوران قط أنها تقوم بشيء لا يعرفانه .. كانت نينا لا تدرى إذا  
ما كان قد أذن لها بما فعلته .. لقد قامت به دون أن تسأل الإذن لها  
بذلك .. كان الألم يشتد .. إن ما فعلته شبيه بالسرقة .. شبيه بالكذب ..  
وهما لا يعلمان عنه شيئًا .. وقامت وجرت عبر الحشائش الخضراء ، ومن  
ورائهما صوتهما ..

- نينا ..

لكنها لم تتوقف ، وانهمرت الدموع من عينيها .. إنها مريضة .. هناك  
وراء الشجيرات ...

- ٤٥ -

نينا ، ماذا بك ..

وانحنى عليها ظلان .. هناك يد تمر من فوق رأسها وشعرها ، وقد  
جف العرق من فوق جبينها ..

- هل أنت مريضة ؟

◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀ ٣٣ ▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶









وصاح رجل فى الناحية المقابلة من الشارع : ماذا يجرى ؟ ماذا هنالك ؟  
وقالت امرأة من الجيران ، هل حدث شىء سيء ؟  
توقف مارتن وهلة قصيرة ، كأنما تنبه لهذا الذى يفعله ، وجرى  
من جديد إلى داخل البيت قبل أن يراه أحد .. وصاحت المرأة مرة  
أخرى ..

- 42 -

كانت تنظر إلى الخارج باحثة عن شبح في الحديقة ، يسبح وسط هذه  
الصفحة الرمادية ..





- ٤٥ -

أن تأخذ شيئاً بدون إذن ، معناه « السرقة »  
نينا تعرف ذلك جيداً .. لكن الحذاء ليس ملكاً لهم .. وقد كذبت لأنها  
لم تذكر الأمر لأحد .. هى تعلم هذا عن يقين .. ولكن الأمر سيان ،  
لأنها تعتقد أنها لم تكذب ..  
كانت المسألة صعبة ، ومعقدة !

- ٤٦ -

قال رجل الشرطة ..  
- الحقيقة أنها حكاية غريبة ، ولكن ليس بيدنا ما نفعله ..  
قالت إيفا : إن الأمر يشير أعصابنا ..  
قال مارتن : والمسألة أصعب وأسوأ بالنسبة لبيتنا : نينا ..  
ونظر إليها ثلاثتهم ، وشعرت نينا أن وجهها يشتعل بالحمرة ..  
قال مارتن : يمكنك أن تمضى إلى الخارج قليلاً يا نينا .. إنها ليست  
مشكلتك .. ولكن لا تذهبي بعيداً ، حتى نستطيع أن نراك من النافذة ..

- ٤٧ -

لم تكن تريد أن تذهب مباشرة إلى الشجرة الكبيرة  
ولكنها ذهبت إليها  
لم تكن تريد أن تجلس تحتها ..

◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀◀ ٣٩ ▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶▶

ومع ذلك جلست على الحشيش تحتها مباشرة

ولم تكن ترغب في أن تنظر إلى فوق

ورغم هذا نظرت إلى فوق .. إلى أوراق الشجرة .. لم يأتها أى صوت  
من بين الأغصان العليا .. ولا طائر .. لم تكن لديها الرغبة فى أن تظل  
جالسة ، وبقيت جالسة ! وجاءها صوته فجأة :

- ما كنت أظن أنك سترجعين ..

قفزت نينا من مكانها ، هي - حقيقة - لم تكن خائفة .. ونظرت إلى أعلى .. هناك كان الحذاء الأزرق يلمع ، والساق المدلاة ، والقميص الأحمر .. لم ترد على كلماته .. قال ..

- أبوك سريع الحركة ، قادر على الجرى كأنه الريح ..

ولم تعقب .. ونزل إلى غصن أقرب ، وسألها ..

- لماذا جريت بعيدًا بالأمس؟

ولم تجب

- هل أبليت أباك وأمك بأمرى؟

وهزت رأسها أن : لا .. سأفعل :

- لماذا لم تخبريهما بشيء عني ؟ !

هزت رأسها من جديد .. الحقيقة أنها لا تعرف شيئاً لذلك

- ٤٨ -

ثم أصبح صوته أكثر مرخاً ..

- إني أرجو أن أستمع بوجودي هنا ..



- ماذا تقصد ؟

- لقد فكرت فى أن باستطاعتى أن أستقر هنا بعض الوقت ..

- أين !!

- فى بيتكم .. فى مقدورك أن تعطينى بعض الطعام ، ومأوى .. أنا الآن فى حاجة شديدة إلى الأكل .. أريد طعامًا كثيرًا .. شرائح من الخبز ، والخس ، والمربى ، واللحم والجبن .. لا أريد جبن الماعز .. إنهم يعطوننى إياه للغذاء فى المدرسة وأنا الآن فى إجازة منه ومنها !

- سأعطيك هذا إذا وعدت بأن تقول لى : ماذا تفعل هنا ؟

- لا أستطيع ذلك ..

- إذن ، فلن آتيك بأى طعام ..

- إنك لا يمكن أن تتركينى أموت جوعًا .

- بل ، من الممكن .. أستطيع ذلك !

شعرت نينا بالثقة الزائدة ، هى تستطيع أن تصنع قراراتها بنفسها  
سألته :

- هل ستفسر لى كل شىء أم لا ؟

- لا أظن ذلك ..

- إذن ، فلن آتيك بأى طعام ..

- هذا رائع . عظيم . إنى بذلك أستطيع أن أختفى ، وبذلك تستطيعين

أن تقولى لنفسك إن الأمر كان مجرد حلم ..

ثم اختفى داخل الشجرة ...

- ٤٩ -

سمعت نينا نفسها تصيح : لا .. انتظر ..  
واضطربت .. كانت تحاول أن تمسك بأنفاسها ..  
ربما ، لا تكون هي الأقوى .. بعد كل ذلك ..  
وعادت الساق تتدلى .. ولمع الحذاء الأزرق من فوقها ..  
- هل تأتين لى بالطعام ، الآن ؟  
هزت نينا رأسها ، أى نعم ، ثم وقفت

- ٥٠ -

لو أنها فقط تستطيع أن تفهم ..  
لقد أصبحت ترتعد خوفاً ، منذ اختفت الساق والحذاء .. حينما سحب  
زبلن قدمه إلى ما بين الأغصان ، كأنما لن يعود للأبد .. وأحست كأنها  
على وشك أن تفقد صديقاً عزيزاً ..

- ٥١ -

مضت نينا عبر المروج الخضراء ، وسارت فى الممر إلى أن وصلت إلى  
السلم ، ودخلت المطبخ .. كان الأمس كأنه حلم .. واليوم أضحي حقيقة  
واقعة .. فتحت نينا باب الثلاجة بنفسها ، وهى بذاتها التى أخذت اللحم  
والبطاطس المتبقية من طعام الأمس ، وهى نينا التى قطعت الخبز ، ووضعت  
كل هذا فى كيس من البلاستيك ، وقد صنعت كل ذلك دون أن تشعر  
بأى خوف .. وخطت إلى الصالة .. وجاءها صوت أيها : نينا ..

٤٢

فجأة أحست بخطورة الموقف .. يجب ألا يراها .. مضت إلى الشرفة ..  
فتحت بابها .. من حسن الحظ أنه لم يحدث صوتاً .. ومرة أخرى : نينا !  
إنها « تسرق » .. إنها تسرق .. إنها ... وتذكرت وجه أبيها مارتن  
وقد علاه التجهم .. حدث ذلك من وقت بعيد .. كان قد دخل ليجد  
في يدها نقوداً .. لقد أخذتها بدون إذن .. نينا .. ابتى .. لا تفعل مثل  
هذا الشيء .. ولكن هاهى قد فعلته .. ألسنت ابتى ؟  
ألسنت لى وأنا لك ؟ .. نعم ، هما لبعضهما ، ولكن .. وانهمرت الدموع  
من عينيها ، ونضج العرق على وجهها وجبهتها ويديها ..  
وجرت فوق الحشيش الأخضر .. إلى تحت الشجرة ، ورفعت يديها  
بالطعام .. ومرة أخرى كما يحدث فى الأحلام ، امتدت يد إلى أسفل ،  
واختفى كيس الطعام بين الأغصان وأوراق الشجرة ..  
نينا ..

والتفتت إلى الراء ، لتجد أباه يقف فى الشرفة متطلعا إليها ..  
- لماذا أنت عندك ؟

لم تجب على سؤال أبيها .. هو كبير ، وهى صغيرة ..  
كان يكبر ، وكانت هى تصغر .. كان مارتن يريد أن يقرأ أفكارها ،  
ولم تستطع أن تبادله النظر ، واصطبغ وجهها بالحمرة ، وتوهج بالحرارة  
وهو يحرق فيها ..

- ماذا هنالك يانينا ؟

هزت رأسها .. ظل يحرق فيها منتظراً .. بعيداً ، بعيداً جداً .. مثل  
عملاق ، ما كانت لتستطيع أن تهرب منه ، أو من نظراته .

~~~~~ ٤٣ ~~~~~



- 52 -

- نينا من فضلك ، أنت بنت ممتازة ..

نينا ليست ممتازة ، كما يظن ..

- أنت تقلقينا فوق ما نتصورين ..

وهي ليست سيئة ، أيضا ..

كانت إيفا ، ومارتن جادين .. إن ابتسامة واحدة لم تطف بوجهيهما منذ يومين .. ماذا جرى لهما ؟ وماذا عن السعادة التي كانا يحسانها ؟

- 07 -

فجأة ، كأنما تحول الصيف إلى صيفين ..

الصيف الهادئ ، الطبعي ، الذى يقضيانه : إيفا ومارتن .. صيف يمتلئ  
بأشياء كثيرة ، مثل طلاء السور والمقاعد ، واجتثاث الحشائش وإصلاح  
ما تخرب .. والصيف الآخر ، الذى احتشد بجذاء زبلن .. إنهما  
لا يستطيعان أن يجتثا هذا الجذاء ، ولا إصلاح ذلك الصغير الذى ينطلق  
فى منتصف الليل ، ولا يمكنهما طلاء شبع زبلن ..

صيف واحد ، من أجل إيفا ومارتن

وصیف ثان ، یمثل شیئا مطلوبًا من نینا ..

- 03 -

نادت إيفا زوجها صارخة : مارتن .. تعال هنا !

مضى إليها .. وهي تقف أمام الثلاجة ..







وكانما حكايتهم هي الوحيدة الصحيحة الصادقة .. وهذا خطأ بالتأكيد ..  
ويجب أن يدركوا هذا ..

والسؤال : هل يمكن للولد الذي فوق الشجرة أن يكون هو اللص ؟  
إنهم يتحدثون ، ويتحدثون .. إن الكبار يعرفون أكثر .. وربما  
كانوا يعرفون كل شيء .. أما أبوها وأُمها - إيفا ومارتن - فإن نينا  
لا تعرف عما يتحدثان ، ولم تتحقق من قصتهم التي يروونها .. ثم  
إن هناك الدراجة والطعام والمعطف ، والرجل الطويل النحيف ، إنها  
ترى أن لا وجود له إلا في أحلامها ، لكن يبدو أنه قد قفز فعلاً  
إلى الواقع والحقيقة ، وهي لا ترغب في أن تصدق ذلك ، لكن الكبار  
يتحدثون ، ويتحدثون ، وهي على يقين من أنهم يفكرون ، يفكرون  
في رجل طويل نحيف ، يرتدى معطفاً أسود ، ويطوف بدراجته في  
شوارع الحى في منتصف الليل ، ويطلق صفيراً .. لماذا يصفر ؟ ! ..  
نينا تعرف ، أنه يصفر للأطفال ، يصفر لها .. إن هذا الرجل الطويل  
النحيف ما هو إلا الولد الذي فوق الشجرة ، لقد حول نفسه إليه ،  
وذلك عن طريق الكلمة السحرية ( زيلن ) .. كانت مقتنعة بأنها  
كلمة طيبة .. لكن من المؤكد أنها كلمة شريرة .. إنه يسعى وراء  
نينا .. هل يريد أن يمسك بها ؟ أن يأكلها ؟ .. لا ، لا ، لا يمكن  
أن يكون الأمر كذلك .. من الأفضل ألا يكون كذلك .. لكن الكبار  
قالوا .. كل الكبار قالوا .. غير أنها تعرف أنهم على صواب .. زحفت  
نينا في الظلام الآمن تحت السلام .. كانت كلمات الكبار تصلها  
عالية غاضبة من الشرقة .. لا ، ليس الأمر كذلك .. وتعبت ..  
وشعرت بالإرهاق فجلست ، وهي لا تدري أى شيء يمكن أن تصدق ..

~~~~~ ٤٧ ~~~~~

زبلن .. طيب أم ردىء ؟ خير أم شر ؟ .. نينا لا تدري لذلك أغلقت عينيها ، وراحت تفكر فى الشجرة الكبيرة .. إن رجلاً طويلاً نحيفاً يجلس فيها منتظراً .. وحاولت أن تفكر فى الولد الذى هو فوق الشجرة ، لكنه لم يعد يجلس هناك .. إن الرجل الطويل النحيف قد ظهر فى أحلامها ، لكنه حى ، ويريد أن يمسك بها ، وهناك شىء واحد لا بد وأن تصنعه .. وزحفت خارجة من الظلام ..

- سار مارتن حول الحديقة ، قالت له نينا :
- أبى ، أنا أعرف أين يكون الرجل الطويل النحيف ..
  - الرجل الطويل النحيف ؟
  - نعم ، ذلك الذى تبحثون عنه ..
  - نينا ، ما هذا الذى تقولينه ؟
  - وجذبها الأب من ذراعها وهو يصرخ فيها :
  - لماذا لم تقولى لى هذا من قبل ؟
  - لقد أفزعنى حتى لا أجد لك الشجاعة فى أن أقول شيئاً ..
  - هل .. هل فعل أى شىء معك ؟
  - كان صوته يرتعش خوفاً وهزت نينا رأسها بالنفى ..
  - أين هو إذن يا ابنتى ؟





احمر وجه مارتن ، وحملق فى وجوههم واحدًا بعد الآخر ، ثم جذب  
 نينا من ذراعها وهزها بقوة ..

- إن هذا الأمر لا يمكن أن يكون مجالاً للهزل والفكاهة ..  
وأخلى سبيلها بنفس السرعة التي أمسكها بها ، وسار الكبار عائدين  
نحو البيت

قالت إيفا : نينا ، لا تذهبي وحدك إلى أى مكان ..

أغلقت إيفا الباب ، وصارت نينا وحدها مرة أخرى ، وهى غير قادرة على أن تلتقط أنفاسها لمدة طالت ، ثم بدأت تشهق بصورة متتابعة إلى أن ارتخت أعصابها ، وبدأت تسترد نفسها .. لا أحد يصدقها .. إنها تشعر بأنها .. وحيدة .. فى كل هذه الدنيا مع هذا الرجل الطويل النحيف ، الذى يرتدى غطاء رأس أسود !

- 09 -

تسارعت دقات قلبها .. وصلت إلى سمعها ورأسها ، مرددة كلمة متوهجة ذات رنين عال .. زبلن .. زبلن .. زبلن .. حلیم ويقظ .. عطوف وطيب .. أم تراه قاسيًا وشريرًا ؟ .. نينا لا تعرف .. لكن ، إذا كان لطيفًا وطيبًا ، وإذا كان هو الوالد الذى فوق الشجرة ، فهو صديق .. ماذا فعلت معه ؟

— 7 —

فجأة ، ظهر لها من خلف النباتات ذات الزهور الحمراء ، بقلنسوته السوداء .. لم تستطع أن تجرى إلى البيت .. ولم تتمكن من أن تجرى إلى







لم تبتعد كثيراً ..

استطاعت الذراعان الطويلتان والأصابع البيضاء أن توقعها أرضاً ..  
صرخت نينا ، ورفعت من يديها تتقي بهما ( نظرات زيلن ) ..

- ماذا بك ؟ ما هي حكايتك بالضبط ؟

لم يكن هذا صوت الرجل الطويل النحيف ، بل هي كلمات قلقة من الولد الذى كان فوق الشجرة .. وتطلعت عيناها الزرقاوان من بين أصابع يدها لتنظر فى عينية الوادعتين .. لم يقل شيئاً ، لكنه نظر إليها مضطرباً ..

وعندما هدأ بكاؤها قليلاً ، سألته : هل أنت الولد الذى كان فوق الشجرة ؟

- نعم .. إنه أنا ..

- ولست شخصاً آخر؟

- لا .. لست شخصاً آخر ..

- وهل تستطيع أن تبدل وتغير وتحول من نفسك؟

— لا .. ليس هذا في استطاعتي ..

- اثبت ذلك ..

- حسنًا، كيف؟





قال فى جدية : طبعى

- وأنا .. أنا نفسى .. أنا أيضاً صدقت أنك الرجل الطويل النحيف !  
كان من المستحيل أن يقول شيئاً آخر .. هى لم تستطع أن تقول له إنها  
حدثت أباهما عنه .. كان هذا أمراً مختلفاً تماماً .. لم يعد له علاقة بهذا  
الذى يتحدثان فيه الآن ..

قالت نينا : أنت لم تكن فى الشجرة منذ وقت قليل ؟

- لا .. كنت فى أماكن أخرى طيلة اليوم .. ولم أستمع إلى الأخبار ..  
- يجب أن تسعد بذلك .. إنهم جميعاً يخافونك .. أنا أيضاً كنت  
خائفة .. لأننى خشيت أن يكون الأمر على النحو الذى يتحدث به الكبار ..  
وتطلع إليها وهو يفكر ..

- ٦٦ -

سأله نينا : لماذا اختبأت فى بيتنا ..

أجاب : ربما كنت أهرب من جماعة يريدون اختطافى

هزت نينا رأسها غير مقتنعة

- ربما كنت شخصية مشهورة متنكراً

ولم تصدق نينا هذه أيضاً

- ربما كنت مختبئاً من عصابة تطاردنى من أجل بعض المعلومات

وهذه كذلك لا يمكن أن تكون صحيحة ..

- ربما أكون قد أردت الابتعاد عن أبوين قاسيين ..

وقبل أن تهز رأسها سمعا صرخات عالية تتردد داخل الغابة ..

~~~~~ ٥٤ ~~~~~

- نينا ! نينا !

كان هذا هو نداء مارتن وإيفا وأصوات أخرى كثيرة .. تبادلت نينا والولد النظرات بسرعة ، وقال لها برقة :

- إنهم يبحثون عنك .. يجب ألا يعثروا على الآن ..

نينا ! نينا !

كانت الأصوات غاضبة ، عالية ، قوية .. قال الولد ..

- هيا ، أسرعى بالعودة إليهم قبل أن يأتوا إلى هنا ..

وراح يزحف بين أعواد النباتات ، إلى الناحية الأخرى من التربة ، وقال

- لا أظن أنهم سيفعلون شيئاً إلا الصراخ فى وجهك ..

نينا ! نينا !

كانت الأصوات قد اقتربت هذه المرة ، وشعرت بالرغبة فى أن تتبع الولد الذى كان فوق الشجرة ، وتود أن تختفى بين الأشجار الخضراء بعيداً عن أصواتهم .. لقد أخطأت مرة أخرى ، وشعرت بذلك من نداءاتهم باسمها ، تماماً مثلما حدث يوم اختفت من البيت وهى صغيرة .. كما أن الطريقة التى تحدثت بها إيفا .. وتكلم بها مارتن قد جعلتها تشعر بالحزن وترغب فى البكاء .. ودفعت أعواد النبات جانباً ، وهتف سيفن :

- إذن ، أنت ها هنا ؟

كان يبدو وكأنه لا يصدق عينيه ، وصاح بأعلى صوته ..

- لقد وجدتها ..



ارتفعت الأصوات القادمة ، إلى أن وصلت إلى مكانها ، وراحت تحرق فيها ، وقد ظهرت على وجوههم علامات الغضب ، كأنما كانوا يتوقعون شيئاً آخر يختلف تماماً عما وجدوه .. وكانت إيفا ومارتن بين القادمين ..

قال مارتن في صوت يشع بالفرحة ..

— نسا —

ثم تغير صوته ، وأصبحت فيه رنة غضب وهو يهتف من جديد :  
 نينا ! .. وقالت إيفا ..

- نينا .. لقد رحنا نبحث عنك ونبحث .. وأتينا بكل الجيران معنا  
لأننا ظننا .. وسكنت إيفا ولم تكمل عبارتها ، بينما أكمل مارتن الكلمات  
قائلاً ...

- هل كنت تجلسين هنا طيلة الوقت وحدك؟

كان واضحا أنهم كانوا يتوقعون شيئا آخر .. قال مارتن :

- هيا بنا .. تعالى .. من الأفضل أن نعود إلى البيت ..

وقفت نينا ، لم تستطع أن تنظر إليهم .. وسارا والباقون من ورائهما ..  
وبدءوا يتكلمون بصوت عال ويضحكون ، كأنما انزاح عن  
كاهلهم عبء ثقل ، ولا بد وأنهم كانوا ينتظرون أن يروا شيئاً رهيباً  
وفظيماً ..

لم تستمع نينا إلى أحاديثهم .. كان جانب كبير منها مازال جالسًا هناك بين أعواد النباتات الطويلة ، وزحفت أفكار كثيرة إلى رأسهما حول الولد الذي كان فوق الشجرة ..

- إثنى لم أعد أفهمك يانينا ، أنت تتصرفين تمامًا عكس ما نطلب منك ...

كانت نينا تنظر إلى أمها إيفا ، التي لم تكن غاضبة ، لكنها كانت حزينة .. وكان والدها مارتن - أيضًا - غير غاضب ، وكان ينظر إليها طيلة الوقت كأنما يريد أن يعرف إذا ما كان قد اعترأها تغيير ما ، وإذا ما كانت قد أصبحت مختلفة ..

قالت إيفا : لقد أفرعنا اليوم ، ولقد طلبنا إليك أن تبقى قرب البيت حتى نعرف تمامًا ما الذى يجرى هنا .

أضاف مارتن : وأنت تعرفين من الممكن أن يكون الأمر فيه خطر عليك .. إنك أصغر من أن تدركى مدى خطورته .. لقد كنا خائفين من أن يكون قد وقع لك شيء .. ونحن نحبك كما تعلمين ، إنك ابنتنا العزيزة .. قالت إيفا : ونحن والداك يانينا ، وأستطيع أن أقول إن شيئاً ما قد حدث فى الأيام القليلة الماضية ، وأنت تخفينه عنا ، وأرى أن هذا أمر محزن ومؤسف .. ومن المؤكد أننا نستطيع أن نساعدك إذا كان هنا خطأ ما ..

سألها مارتن : نينا ، ماذا كنت تفعلين فى الغابة ؟

لم تستطيع أن تجيب ..

- أنت تعرفين أننا خائفون من أن يقع لك ما لا نحمد عقباه ، ويجب عليك أن تقولى لنا :

لماذا ذهبت إلى هناك ؟

ولم تستطع نينا أن تجيب ..

~~~~~ ٥٧ ~~~~~

سألها :هل أغراك أحد بالذهاب إلى هناك ؟

ولم تجب .. قالت إيفا :

- من الممكن أن يكون الأمر خطيرًا جدًا .. ونحن لا نعرف بالضبط ما الذى يجرى ويحدث فى بيتنا ، وفيما حولنا ..

. وأخيرًا ، نطقت نينا ، وكان باستطاعتها أن تجيب .. قالت بهدوء غريب :

- لا ، إنه ليس خطرًا ..

وساد صمت كامل .. كان ذلك يوم الجمعة الرابع عشر من يوليو فى الساعة الرابعة وسبعة وعشرين دقيقة مساء .. أطبق الصمت الرهيب عليهم للمرة الثانية .. وتبادلت إيفا ومارتن للنظرات ، كأنما كان يأملان ألا يسمعا ما قالته ..

قال مارتن فى صوت مصدوم : إنك لا تعرفين أى شىء عنه ..

بعدها فقد أعصابه ، وضرب على المنضدة بقبضة يده ، ورن صدى الصوت وتردد داخل الجدران ..

- وعليك أن تجيبى على أسئلتنا عندما نسألك عن شىء ما ..

وانهالت عليها الأسئلة ، بأصوات غاضبة مكتئبة ..

- ٦٩ -

كانت الأسئلة سهلة بسيطة ، لكن الإجابة عليها كانت مستحيلة ..

نينا وحدها تعرف إجاباتها الخاصة ، وإيفا ومارتن يريدان أن يسمعا

~~~~~ ٥٨ ~~~~~

الإجابات المتعلقة بهما ، لقد قالت الصدق لكنهما لم يصدقاهما ، كانت الأسئلة لا يمكن لها أن تجيب عنها ، لذلك ساد الصمت ..

- ٧٠ -

ونزل المطر مع المساء .. ولمع البرق ، وقصف الرعد .. وهبت نسمة حملت معها أريج الزهور عبر النافذة المفتوحة ، وراحت إيفا ومارتن يرقبان نينا باستمرار .. إن لها نظرات دهشة ، وأخرى حزينة ، ونظرات كئيبة ، ونظرات احترام ، وكانوا جميعاً فى انتظار إجابات على أسئلتهم ..

وكانت نينا تتساءل فيما بينها وبين نفسها : هل عاد الولد للجلوس فوق الشجرة ؟ .. ربما كان من الممكن أن يستمتع بصوت تساقط المطر على أوراق الأشجار ..

وتوقف رجل عند باب البيت ، وتطلع إليه ، ولم تمتد يده لفتحه ، بل بقى خارجه .. ثم نظر إلى الحديقة ، وعاد يحدق فى البيت مرة أخرى .. وكانت مظلة السوداء مبللة بقطرات المطر ، وقد راحت تنزل من فوقها فى يسر وسهولة ثم استدار واختفى عند منعطف الطريق ..

تساءلت إيفا :

- أى شىء كان يريد ؟

كان واضحاً أنه يريد شيئاً ما ، وقد لاحظت نينا ذلك على الفور .. لقد نظر إلى الحديقة كأنما يعرف ما يريده .. كان يبدو وكأنه يبحث عن شىء ما ، لكنه لم يجد لديه الشجاعة الكافية ليدخل إليهم ويسألهم عن هذا الشىء ..

~~~~~ ٥٩ ~~~~~



- هناك يا مارتن رجل يتلصص على بيتنا ، وكان يحرق في حديقتنا ..

- vi -

جاءت إيفا وجلست على حافة سرير نينا ، وكان المطر يتساقط برقة على زجاج النوافذ ، وسادت الظلمة داخل البيت .. قالت الأم ..

- إيفا ، أريد فقط أن أقول إنه ليس من السهل علينا أن نعرف ما حدث ، مما يمكننا أن نصدق ..

وصار وجهها شاحباً ..

- ونحن نخشى أن يقع لك شيء ، لا محمد عقباه ..

**وراحت تمر بيدها من فوق الغطاء ..**

- إنا نفعل ما نعتقد أنه صواب ..

كان الصوت رقيقاً كالطر الذي يتساقط بالخارج

- لكن ، قد لا يكون ذلك كافياً ..

وكان كل ما هو مطلوب من نينا أن تمد يدها لتلمس ذراع أمها .

لكنها لم تفعل .. وقامت إيفا ، قائلة « تصبحين على خير » ..

ومضت إيفا وخلفت وراءها فراغاً راح ينمو من بعدها ..

- ۷۲ -

ليلة من ليالى يوليو ، والقمر

الحديقة رمادية ، والمطر الفضّي .. وفجأة تستيقظ من أحلام جميلة ،






همست فيما بين أوراق الشجرة « المفضضة بالضياء » ..

- هل أنت هناك ؟

- نعم ، أنا بانتظارك .. اصعدى ..

لم تكن نينا قد تسلقت شجرة من قبل ، لكنها قبضت على اليد التي امتدت إليها ، واستطاعت بذلك أن تصل إلى أقرب فرع ، وبذلك صار الباقي سهلاً يسيراً ، وصعدت إلى الولد الذى يجلس بين الأغصان فى تلك الليلة الخضراء ..

قال لها : كنت أعلم أنك ستأتين .

.. كان عليها أن تطرح عليه فوراً ذلك السؤال الذى أيقظها من نومها ..

- هل أنت الذى سرقت دراجة ( جوهانز ) ؟

- أنا فقط استعرتها .. استلفتها ..

- هل سرقت لحوماً وخبزاً من ( جرده ) ؟

- قطعت شريحتين من اللحم ، وقطعتين من الخبز لا أكثر لأنى كنت

جائعاً ..

- وكيف دخلت إلى بيتهم ؟

- بنفس الطريقة التى دخلت بها بيتكم

- كيف كان ذلك ؟

- إننى أستطيع أن أفتح أى قفل فى العالم

نظرت إليه نينا .. إنه يكذب ..

- هل سرقت معطف المطر أيضا .
- كانت قد بدأت تمطر ، وكنت أعرف أن ستيفن لديه معطف مطر قديم فى القارب الذى يرسو على شط النهر .. كل ما هنالك أنى استعرتة .. ودراجة ( جوهانز ) خلف هذه الشجيرات .. هناك فى القارب .
- وصدقته .. إنها لا تصدق الكبار
- لماذا جئت إلى بيتنا ؟
- سكت لحظة فى البداية ، ثم جاءت إجابته
- بيتكم يشبه قلعة « الجميلة النائمة » ، تحيط به أشجار وشجيرات وغابات ، ولا أحد يستطيع أن يعرف إذا ما كان هناك من يعيش فيه ..
- كم بقيت فى منزلنا ؟
- بقيت فيه نحو أسبوع ..
- ولكن لماذا تختبئ ؟
- لقد تركت لهم البيت ، تقريباً ..
- تقريباً ؟
- نعم ، تقريباً ..

وسمعا صوتا فيما بين الحشائش ، لذلك سكتا وسكنا فى مكانهما .. وحرك الولد بحرص بعض الأغصان ، ونظر من خلال الفرجة التى حدثت .. كانت هناك قطعة متحركة من ظلام دامس تحتها .. إنه الرجل القادم من البوابة .. ذلك ما شعرت به نينا .. إن له علاقة ما بالحديقة والليل والولد ، توقف ، تقريباً تحت الشجرة مباشرة ، ورفع رأسه فى بطاء ثم راح

ينظر إلى أعلى .. تركا الأغصان بهدوء . وانتظرا .. لا يمكن أن يكون قد  
رآهما .. كان صوت الرجل رقيقاً ، وكأنه يهمس ، لكنهما سمعا كلماته  
فى وضوح ..

- « سوف نحاول .. لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك .. الآن أنت  
تعلم .. »

وانتظرا لفترة طويلة ، لكنه لم يقل شيئاً فوق هذا ، وتطلعا مرى أخرى  
فى حذر شديد من بين أغصان الشجرة .. لم يعد الرجل هناك .. همست  
نينا ..

- ماذا يعنى هذا ؟

لم تكن خائفة .. ولا مضطربة ، وكأنما كان المفروض والمتوقع هو أن  
تحدث هذه الأشياء تحت الأشجار فى الحديقة ليلاً .. قال الولد ..

- إنها رسالة

- رسالة لك ؟

وهز رأسه ، أى نعم ..

- ٧٥ -

قال الولد بعد قليل

- هناك سبب خاص فى أنى انتقلت إلى بيتكم .. الممر ..

- تقصد الممر الموجود خلف البيت ؟

هز رأسه ، نعم ..

- كان مهماً جداً أن أكون بالقرب منه

٦٤

وجلّسا متجاورين ، جنباً إلى جنب ، ولمس ذراعه ذراعها ، وشعرت بالدفء يسرى إليها .. كان أضخم منها ، وكان أكبر منا بالتأكيد .. قد يكون فى الثانية عشرة من عمره ، ولم يكن هناك من سبيل لسؤاله عن هذا الآن .. مدت قدمها العارية لتلمس حذاءه .. ( حذاء زبلن ) .. وشعرت فى هذه اللحظة بشعاع من النور يتخللها ، نفس الضياء الذى كان فى حديقة يوليو والليلة القمرية .. وذلك بالتأكيد هو السبب فى أنها ارتضت لنفسها أن تجلس فوق شجرة فى منتصف الليل ، لتستمع إليه ، ورفعت خصلة من شعرها ونظرت إليه .. كان شعرها أسود ، مع مساحة فضية تحت سماء يضيئها القمر ، وجف الغصن الذى يجلسان عليه ، وابتلت بيجامتها ، لكن ذلك لا يهم .. وأضاف الولد فى صوت قريب خفيض ..

- إذا ما جد الأمر يوماً ، سيكون على أن أستخدم المر ..

وأحست نينا بارتعاشة فى ظهرها ..

- هذا المر يقود إلى كهف سرى لا يعرفه أحد فى العالم كله ، ولا يستطيع أن يحتر عليه مخلوق .. سأكون آمناً هناك .. ويمكننى أن أعيش فيه ولو امتد بى العمر مائة عام ..

- إنه لم يعد سرّاً الآن بعد أن حدثتني عنه ..

- لا أحد غيرك يعلم به

- كيف يمكننى أن أصل إليه ؟

- أنت لا تستطيعين ذلك .. إبنى الوحيد الذى يستطيع أن يجاز إليه كل المخاطر التى تنتظرني .. بداية هناك أربعة فرسان كل منهم

~~~~~ ٦٥ ~~~~~



يحمل سيفاً حاداً من الصلب القاطع ، من الممكن أن يمزق الأحجار  
والمعادن ! .. إنهم يقتلون كل من يحاول أن يسير فى هذا الممر ،  
سواء كان فاراً أو بشراً ..

وكان يرقبها أثناء حديثه

- ثم هناك أربعة ذئاب ، هى جوعى دائماً ، وتأكل كل من يقترب  
منها ..

كانت تنتظر إليه طيلة حديثه ..

- ثم هنالك عنكبوت عملاق ، نسج خيوطه على الممر .. وهو  
جميل إلى حد أن البشر والحيوانات يمضون إليه بلا توقف لحظة رؤيته ،  
وبذلك يسقطون فى الفخ إلى الأبد .. كان كل منهما يرقب الآخر  
أثناء الكلام

- ثم هناك رجال طوال نحاف يرتدون قلنسوات سوداء .. يمسكون  
بالأطفال ويأكلونهم .. بعدها أصل إلى الكهف حيث لا يستطيع أحد أن  
يجدنى ..

ونظر الولد إلى أسفل .. وقالت نينا

- لماذا تقول لى كل هذا ؟

رفع بصره إليها .. كانت عيناه زرقاوين .. لم تستطع أن تراهما فى  
الظلام لكنها تعرفهما .. لم تكن عيناه أبداً قاسيتين ، ولم تحملا أى خطورة  
أو تهديد لها ..

- ربما لأنك تعيشين قرب الممر ، ولأن بدايته فى حديقتكم ..

وحجبت سحابة القمر ، وللحظة صارت الحديقة بلا ضياء ، وزحفت

~~~~~ ٦٦ ~~~~~



كانت إيفا ومارتن نائمين ، دون أن يعلما بالأمر ، ودون أن يشكا فى شىء .. ونظرت إليهما نينا من خلال فتحة فى الباب .. كان فى أعماقها شىء يقول لها بأنها لابد وأن تكون بلا ضمير أو صاحبة ضمير سيء وردىء .. لا ، إنها ليست كذلك .

فى البداية كانت الأصوات آتية من بعيد .. ثم اقتربت .. ثم صحت من نومها .. كانت هناك أصوات عديدة خارج المنزل ، لابد أن شيئا ما قد حدث لأن الجميع كانوا يصيحون فى نفس الوقت ، فخطت ناحية مثلث الشمس الأصفر الواقع على الأرض ، وداسته فى طريقها للنافذة .

لقد تأخرت فى نومها صباح اليوم ، ومالت تنظر من النافذة .. كان هناك مارتن وإيفا وسفن وليف .. كانوا يقفون على الدرج وهم يتزاحمون حول شىء ما ، وراحوا يتحدثون بانفعال شديد قالت نينا : ما هذا ؟

وارتفعت أبصارهم جميعاً إليها ، وسخر سيفن بكلمات مبهمه حول الساعة والوقت ، بينما ارتفعت ذراعى إيفا بطريقة تمثيلية وهتفت :

- انظرى ..

وتنحوا جانباً ، فرأت نينا على السلم دراجة خضراء ، ومن فوق مقبضها معطف مطر أسود !!

قالت مارتن : الأسوأ من هذا أننا لا نعرف من أين جاءت ..

~~~~~ ٦٨ ~~~~~

وقالت إيفا فى لهجة شاكفة : إنه أشبه بالكابوس .. لماذا هى هنا ؟

- ٧٩ -

وقف الخمسة من حول الدراجة .. أربعة كانوا مضطربين مشوشين .. واحدة منهم لم تكن كذلك .. قال مارتن :  
- أنا غير قادر على أن أفهم شيئاً .. هذه لابد وأن تكون دراجة ( جوهانز )

سأل ليف : لكن لماذا هى هنا ؟

وقالت إيفا : ماذا يريدون منا ؟

عقب سيفن : يبدو .. غالباً .. أن هنالك من يريد أن يخيفكم كانت الدراجة خضراء ، وهناك رسم للشمس على مقبضها لم تقل نينا شيئاً .. مع أنها تعرف كل شىء !

- ٨٠ -

وعندما كانوا يتناولون طعام الإفطار ، قالت إيفا ..

- لقد تأخرت فى نومك كثيراً يا نينا .. هل نمت بشكل جيد ؟

أجابت نينا : طبعاً ، نمت بشكل جيد جداً ..

قالت إيفا : أنا تقريباً لم يغمض لى جفن ..

على كل حال ، لاشك أن جفنيها كانتا مغمضتين على الأقل عندما ذهبت نينا للحديقة ليلاً ..

~~~~~ ٦٩ ~~~~~

قال الشرطى عندما جاء ليرى الدراجة

- هذا عبث أطفال

هتف مارتن فى غضب وسخرية : عبث أطفال ؟ لا أرى فى ذلك عبثاً على الإطلاق إن هذا يعنى إفزاعى وإرهابى وإذا ما استطعت الوصول إلى هؤلاء الذين يفعلون هذه الأشياء ، فإنهم لن يفلتوا من يدى مطلقاً ..

قال رجل الشرطة : لا .. لتفرض أن الأمر ليس مجرد مداعبة وعبث ، لكن ما الذى نفعله مادام الجميع لا يعرفون شيئاً عما يجرى ؟

قال مارتن وصوته يزداد ضيقاً وغضباً كلما امتد به الكلام ..

- لقد أصبح الأمر غريباً ومثيراً .. إننا فى مكان صغير محدود ، ومع ذلك فلا أحد يستطيع أن يصنع شيئاً إزاء قضية بسيطة مثل هذه .. ماذا سيحدث لنا إذا كان القانون غير قادر على حمايتنا ؟ أى نوع من « العالم » سنعيش فيه ؟ عناصر فى متهى الخطورة تنطلق من حولنا حرة ، تفعل ما تشاء لتهدد البيوت ، وترهب سكانها إلى حد أننا أصبحنا غير قادرين على أن ننام فى هدوء وسلام .. ثم ، ها نحن أمام حكاية هذه الدراجة ..

خطأ مارتن نحو رجل الشرطة ، وقال له ..

- هل تعرف ماذا يعنى هذا ؟

هز رجل الشرطة رأسه نفياً .. فأضاف مارتن ..

- ولا أنا أيضاً أعرف ..

وانخفض صوت مارتن إلى حد أن أصبح همساً ..

- لكننى أتوقع ما هو أسوأ ، وسوف أقلب الأرض بحثاً عن المجرمين ..

نظرت نينا إليه .. « المجرمون » .. هى ، إذن ، واحدة منهم ، بالتأكيد لكنها لم تكن على يقين من ذلك الجرم الذى ارتكبته ..

- ٨٢ -

راحت نينا تصفى .. لم تكن هناك خفقات قلب ، أو أنفاس أنسام .. لا ضوء فضى ، ولا حتى غبشة المساء .. النهار والليل ، كأنهما مكانان مختلفان على خريطة الحديقة فى ضوء النهار مفتوحة للجميع .. لمارتن وإيفا ولأى شخص يأتى ويذهب .. أما حديقة الليل فهى مفتوحة لقلائل .. نينا والولد الذى هو فوق الشجرة ، ولكل من يرقص ويتمايل ويترنح مع ضوء القمر ..

إيفا ومارتن ينامان أثناء الليل ..

- ٨٣ -

- لو كنا نعلم شيئاً .. لكننا لا نعرف شيئاً على الإطلاق ..

كانت نينا تتطلع عبر المروج الخضراء ، متجاوزة شجيرات الورد ، ناحية السور والبوابة ، وإلى أبعد من ذلك .. إلى الممر .. وراحت تتخيل كيف ينعطف الممر تحت أعواد النباتات الطويلة ، ثم أشجار الغابة ، ثم تبدو من بين كل ذلك قطع صغيرة من قميص أحمر و ...

قالت إيفا : نينا ، ما الذى يجعلك تبسمين ؟

٧١



انتزعت الكلمات نينا من خيالاتها وأفكارها .. قال مارتن ..

- إن لديك شيئاً ماله وتجهزين نفسك

وأضافت إيفا : لن تستطيعي أن تنكري هذا

وقال مارتن : لماذا لا تقولين لنا ماذا هنالك ؟

وقالت إيفا : أنا لا أحب منك أن تبقى على أشياء ، سرّاً علينا ..

أغلقت نينا عينيها طيلة استماعها إليهم .. كانوا بالضبط أشبه بأطفال الشوارع في مدينتهم ..

إنهم يتقاصرون ، ويصغرون ، ويرددون كلمات الأطفال .. وفتحت نينا عينيها ، واستعين ..

وقال مارتن يخاطب إيفا ..

- لقد أفسدتها ..

صاحت : أنا ؟

- نعم .. إنك أنت التي ربيتها على هذه الصورة ..

- ذلك لأنك لم ترغب في أن تتحمل المسؤولية معي ..

كانت أصواتهما تتصاعد ، نحو الغضب .. كانا يتكلمان معاً ، وفي نفس الوقت ، ولا أحد منهما يستمع إلى ما يقوله الآخر .. ووقفت نينا تريد أن تغادر منضدة الحديقة ، وكانت تشعر بقلق داخلي .. هذه هي الطريقة التي يتحدثان بها من وراء الأبواب المغلقة ، ويؤديها كثيراً أن تستمع إليهما ، لذلك اختفت في ركن وراء البيت لتفادي أصواتهما ..

**نينا أثناء النهار .. نينا أثناء الليل ..**

خلال النهار هي مستيقظة .. خلال الليل هي نائمة .. ليلة واحدة  
تلك التي بقيت مستيقظة مع أنها لم تنم قط خلال النهار .. وأمس  
لم يكن منذ أزمان بعيدة ، ولم يمض وقت طويل على جلوسها بين  
النباتات الطويلة الأعواد مع الولد الذي كان فوق الشجرة ، ولم تمر  
فترة مديدة منذ بحث عنها مارتن وإيفا ، وعثرا عليها ، وكانا غاضبين  
غضبًا شديدًا معها ..

والليلة الماضية ، كانت منذ وقت بعيد .. نعم ، منذ وقت بعيد  
أضيت الحديقة بألوان فضية ، وجلست فوق الشجرة تتحدث مع  
هذا الولد ..

وهي عندما تفكر في هذه اللحظات تحسبها كانت حلمًا ..

لقد كانت سعيدة في الليلة الماضية .. تكاد تطير لفرط سعادتها  
لقد وقعت وتمنت أن تنام خلال النهار وتصحوا أثناء الليل .. وأن  
ينقلب كل شيء رأسًا على عقب .. ودق قلبها في عنف ، وتسارعت  
أنفاسها ..

## هل هي أفكار تهدد بمخاطر؟ !

لا لا .. أبدا .. قالها مارتن في رأسها ..

وجرت إلى حيث الباب الأمامي للبيت ..

توقفت نينا قليلاً .. كان مارتن وإيفا يقفان على جانبي منضدة الحديقة ..  
كان وجهاهما غير مألوفين ، وقد تخشبت أذرعهما .. واضح أنهما قد  
انتهيا من نقاش حاد ، ومعركة .. كانت كلماتهما الأخيرة تصلصل من  
فوق الحشائش الخضراء ، وليس بوسعهما أن يدعيا أنهما لم يتشاجرا ، إذ  
لم يكن هناك الآن باب بينهما وبين نينا ، ولم تلح على أى منهما ظلال  
ابتسامة سعيدة ..

لم تستطع نينا أن تذكر لهما شيئاً عن الدراجة الخضراء ، لقد عرفت  
بأمرها أثناء الليل ، ونينا أثناء النهار لا تعرف شيئاً ..

بقيت دقائق خمس على ظهر اليوم .. كانت الحديقة ساكنة .. والمنزل  
هادئاً .. ومضى مارتن على الطريق مبتعداً دون أن يقول كلمة ، ودخلت  
إيفا غرفة النوم وأغلقت عليها الباب بالمفتاح .. إيفا أخذت ما يكفيها من  
إيفا .. ومارتن أخذ ما يكفيه من مارتن .. ولم يناد أحد على نينا وهي  
تمضي تجاه الممر ، وفتحت الباب وأغلقت من ورائها ، ومضت تسير  
وسط ظلام الأشجار المتشابكة ..

كان قد سبقها إلى هناك .. وقال فى حزم ..

~~~~~ ٧٤ ~~~~~

- كم الساعة الآن ؟

- أنا ...

- إنها الثانية عشرة وخمس دقائق .. عندما أقول الثانية عشرة فهي الثانية عشرة .. شعرت نينا بالخوف ، وابتسم هو .. وقال فى لهجة الكبار وطريقتهم ..

- اسمعى يا صديقتى .. يجب ألا تضطربى عندما يحاول الكبار إغاظتك ومضايقتك ..

جلست نينا بجانبه ، وقال لها ..

- وأين الطعام الجيد الوفير الذى وعدت بأن تحضره معك من المطبخ الملكى ؟

الطعام ! لقد نسيتَه تمامًا !

تنهد وقال : اوه ! يجدر بى أن أرقد هنا وأموت جوعًا بينما تبتلعين أنت أجود الأطباق فى العالم وأشهاها ، وتتخمين نفسك أكلاً حتى الموت .. نظرت إليه نينا فى دهشة .. فأضاف ..

- إنه لمن حسن حظى أنى أستطيع أن أعيش بلا طعام لشهور طويلة .. وإذا أنا مت جوعًا ، فسوف أبعث من جديد ، وألومك على ما حدث ، وسوف يطاردك ذلك كل ليلة أن يدفعك للجنون !

ونظر إليها ضاحكًا وقال : يجب ألا تصدقى كل ما أقول ..

سألته نينا التى لم تكن راضية على الإطلاق عن حديثهما :

- أنت ، لماذا طلبت منى أن آتى إلى هنا ؟

- أنا لم أُنه من حديثي معك عن الجوع .. من الممكن أن أرجئ ذلك إلى وقت آخر ..

هينا بنا ..

ونَهض من مكانه وبدأ يزعج النباتات من طريقيهما .. ومضت ورائه .. ولقد تحدث بطريقة مختلفة طيلة اليوم ..

- ٩٠ -

همس وهو يرقد على الأرض : اش ..

وفعلت نينا نفس الشيء ، وراح يزحف بين أعواد النباتات ، وتوقف عند تل ، جلس من فوقه ، وزحفت نينا لتجلس بجواره .. وعلى مسافة قريبة كان هناك بيت أبيض أقيم وسط حقل ، في قلب الغابة الخضراء ، وقريباً منه رأت منزلاً أحمر اللون .. وسألته ..

- ماذا تفعل بجلستنا هنا ؟

لم يجب على سؤالها ، وتطلعت إلى البيت .. كانت هناك بنت صغيرة تجلس على السلم تعمل في شيء ما ، لم تستطع نينا أن تتبينه .. وكان هناك حصان يضرب الأرض بقدمه في زاوية من البيت .. وخرج رجل من الحظيرة ، بدا لينا أنه معروف لديها ، لكنها لم تستطع أن تعرف من هو على وجه التحديد ، ثم اختفى داخل البيت الأبيض .. وفجأة أطلق الولد صفيه الذي كان يطلقه في الحديقة ، ورفعت البنت الجالسة إلى السلم رأسها .. وصفر من جديد مرة أخرى ، فوقفت الفتاة ، وجرت مسرعة نحوهما ، كأنما تعرف بالضبط أين هما .. وهز الولد والبنت رأسيهما ،

~~~~~ ٧٦ ~~~~~

كل منهما للآخر ، ولم تلتفت البنت إلى نينا مرة واحدة .. وشعرت نينا أن الفتاة مسرورة وفرحة بلقاء الولد ، الذى سأها ..

- هل مازالا كما هما ؟

- لا .. لقد توقفا فى الوقت الحاضر ..

وتنهذ الولد .. وقال ..

- إبنى أعنى ما قلت ، يجب أن تدركى هذا جيداً .. كلاهما يجب أن يكتبها على الورق .. يجب أن يعدا وعداً قاطعاً .. قولى لهما إبنى أريد ذلك مكتوباً ..

هزت الفتاة رأسها .. وأضاف :

- قولى لهما إبنى من الممكن أن أذهب أبعد مدى إذا لم يفعلا ذلك .. نعم ، سأقول لهما هذا ..

نظرت إليه الفتاة ، وفجأة شعرت نينا بالعطف على البنت ، إذ كانت تبدو عاجزة عن صنع أى شىء .. قالت الفتاة فى صوت منخفض ..

- إبنى أريدك أن تعود إلى البيت مرة أخرى قريباً جداً ..

- لقد حصلت على نقود ، وأستطيع بها أن أسافر إلى أى مكان .. تعرفين أنى كسرت حصالة نقودى ، وأنى استدنت نقوداً من درج الخزانة ، وأعرف أنهم لابد وأن يكونوا قد عرفوا بذلك ..

هزت الفتاة رأسها : أى نعم ..

سأها : هل غضبوا ؟

- لا .. ليس بالضبط .. قالوا إنهما يقدران الموقف ويفهمان الأمر ..

~~~~~ ٧٧ ~~~~~



قال الولد مكتئبًا : نعم ، أنا متأكد من هذا .. لأنهما يفعلانه باستمرار .. يومان فقط ، ثم يعودان إلى ما كانا عليه .. هل ستخبريهما ؟  
- نعم ..

وبدأ الولد يرجع للوراء قليلاً ، ثم قال لها ..  
- هيا .. عودي للبيت قبل أن يتبها إلى غيتك ويستتجها لماذا أنت هنا ..

استدارت الفتاة ثم جرت إلى البيت .. وكانت نينا تعتقد أن الفتاة لم ترها ولم تلحظ وجودها .. وخرج الرجل مرة أخرى من البيت واتجه ببصره ناحية التل ، غير أنه لم يكن باستطاعته أن يراها ..

- ٩١ -

لم يذكر الولد من هي هذه الفتاة ، ولا من هو هذا الرجل .. ولم تسأله نينا .. ولم يخبرها لماذا جاءت وحدها .. ولم تسأله .. وسارا معًا على طول الممر ، هو في المقدمة وهي من ورائه .. وساد صمت طويل وقيلت بعد ذلك بضع كلمات ، وقال لها : أحسنت ، إذ أتيت لتكوني معي !

- ٩٢ -

سأله نينا عند البوابة : هل ستصعد إلى الشجرة مرة أخرى ؟  
هز رأسه ، أي نعم ..

قالت : لقد ظننت أنك تقيم فيها طيلة الوقت ..

~~~~~ ٧٨ ~~~~~

- هز رأسه .. قالت : لكنك تنام هناك ؟ ! .. قال : لا ..
- قالت : قلت لى هذا .. أين تنام إذن ؟
- فى أماكن مختلفة .. أحياناً فى حظيرة أو مخزن غلال ..
- لكنك قلت ..
- نعم ، أنا أقول الكثير .. لقد كنت أرغب دائماً فى أن أنام فى الشجرة ، غير أننى لم أجِد سبيلاً إلى هذا ..
- لماذا تجلس فى الشجرة أثناء الليل ؟
- لأننى أكون فى انتظارك ..
- كانت تتمنى أن يقول هذا .. وقد سرها أن يقوله ..

- ٩٣ -

نادته قائلة : انتظر .

- كانت خائفة وهى تتطلع إلى البيت .. لم يكن هناك أحد .. وكان هو قد استدار ومضى بين الأشجار ، ثم عاد مستجيباً لندائها .. سأله ..
- لماذا أعدت الدراجة إلى بيتنا ؟
- وملأت الابتسامة وجهه ، وهو يقول :
- كل ما هنالك أنى رغبت فى أن اعرف ماذا سيفعل الكبار .. مجرد دراجة عادية ومن فوقها معطف أسود للمطر فوق مقبضها ، وجلست فوق الشجرة أقرب أمك وأباك ، وقد راحا يصرخان ويشكوان كأنهما آلة للموت .. لقد خافا من قبل من الحذاء والصفارة، وليس غريباً أن يرتعدا للدراجة والمعطف فهما بالضبط كما أتصورهما ..



- لقد تغيرت كثيراً منذ جئنا إلى هنا .. أستطيع أن ألمح ذلك على وجهك .. وشيء ما قد تغير في عينيك ..  
أقبلت لتقف أمامه .. قال مواصلاً حديثه إليها ..  
- إننى لا أفهم شيئاً قط مما حدث فى هذا الصيف .. لا شيء كما يجب أن يكون .. حتى ولا أنت ..  
ومضت نينا إلى صالة البيت ..

- ٩٦ -

هناك شيء ما بالتحديد .. ليس ريتا ، ولا أوتو .. وليس مارتن ، وليس إيفا ، شيء محدد .. إنه « نينا » بالذات ..

- ٩٧ -

جلست إيفا إلى مائدة المطبخ تتطلع إلى الحديقة .. كان يبدو عليها التعب .. وابتسامة صغيرة حزينة من أجل نينا .. قالت ..  
- هذا الصيف لم يكن كما تمنيته .. كل شيء مختلف ، بشكل أو بآخر .. ليس الصيف فحسب ، بل والبيت ، والأشياء التى هنا كذلك ..  
إننى أعتقد أن الحجرات عندما أدخلها تغير من نفسها .. وإننى لخائفة دائماً من أن شيئاً ما سيحدث .. مارتن مختلف .. وأنت أيضاً هذا يفرغنى ..  
إننى أرغب فى أن ينقشع هذا الجو الرهيب ، لكى يعود إلينا صيفنا ..  
ونظرت إيفا مرة أخرى إلى الحديقة ، وسألت ..

- هل مازال مارتن يجلس على السلم ؟

- نعم ..

لا شيء أكثر .. ومضت نينا إلى الخارج ..

- ٩٨ -

مارتن جالس على السلم .. إيفا فى المطبخ ..

كان يرغب فى أن يمضى إلى الداخل .. وكانت تريد أن تمضى إلى الخارج .. لكن كلا منهما بقى حيث هو .. وذهبت نينا إلى الحديقة ..

- ٩٩ -

الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة .. أربعة أيام ..

أمطرت السماء مرة واحدة .. وباقى الوقت الشمس مشرقة ..

ورجعت نينا بذاكرتها إلى الوراء .. إلى مساء الاثنين العاشر من يوليو .. كانت هذه هى البداية .. كانت على ثقة من هذا .. ساعتئذ ، بدأ ضميرها السيئ يتحرك .. راحت تفكر فى نفسها .. كانت فى أعماقها بذرة شر صغيرة خضراء مخيفة .. غاصت بداخلها بسرعة .. صارت كبيرة .. ربما تنضج بالكامل بواسطة شمس الصيف ..

- ١٠٠ -

شيء بالتحديد

شيء ما نينا !

- ١٠١ -

الآن ، ها هو قد جاء مرة أخرى

اختبأت إيفا وراء الستارة .. ومالت نينا للأمام .. عند البوابة .. كان يقف رجل أمس .. رجل اليوم .. إنه نفس الرجل الذى خرج من البيت الأبيض فى الغابة .. رجل ضوء القمر والحديقة الفضية .. الرجل الذى تتساقط نقاط المطر من فوق مظلته السوداء .. كان يقف بدون مظلة عند البوابة ، تغمره شمس الغروب ..

- ماذا يريد ؟

خرج مارتن إلى السلم الأمامى ، لكن الرجل لم يعد بعد هناك ..  
رأته نينا فقط وهو يمضى مبتعدًا ، على الطريق ..

- ١٠٢ -

إيفا ومارتن يتحدثان معًا مرة أخرى ، عن الرجل الذى كان عند البوابة .. ماذا كان يريد ؟ ومن هو ؟ هل يكون هو الذى ... ؟ يجب إبلاغ الشرطة بالأمر غدًا .. قد يكون ذلك هو السبيل لحل اللغز .. شيء ما يتحدثان عنه ، كأنما لم يحدث شيء فى الصباح الباكر من هذا اليوم ..

- ١٠٣ -

استيقظت نينا .. كان مارتن يصدر شخيرًا عاليًا . وكانت إيفا تتنفس بصعوبة .. وكانت الليلة مقمرة ، وبلا سحب .. وانعكس ضوء البدر على زجاج النوافذ ..

نينا والليل يقظان ! لم يناما !!

٨٣



- ١٠٤ -

- أنت .. أنت يامن فوق الشجرة ، هناك ..

- أنت .. أنت يامن تحت الشجرة ..

.. وناءت أغصان الشجرة تحت أقدامها ..

- ١٠٥ -

غريبة جداً

كانت يدها بين الأغصان خضراء ، بلون ورق الشجر ، وكانت أصابعهما  
بيضاء .. ووضعت أصابعها السبابة في يده .. التقى الأبيض والأخضر ..  
وضع يده فوق شعرها .. ومس أصبع أرنبه أنفها ، وآخر من فوق شفتيها ..  
وفتحت فمها لكي تدفعه بطرف لسانها .. كان مذاق أصبعه مثل مذاق  
ورقة الشجر وطعم ضوء القمر الفضى !

- ١٠٦ -

- هل كانت هذه الفتاة أختك ؟

- نعم

- هل أبوك هو الذى حضر إلى هنا بالأمس ؟

- نعم

- أظنتى سمعتك تقول إنك تركت البيت ؟

- نعم

- لكن أحداً لا يتردد على البيت إذا كان قد تركه ..
- حسناً ، أنا فعلت ذلك ..
- أنا غير قادرة على أن أفهم أى شيء
- لا .. ولا أنا أيضاً .. فى الواقع

- ١٠٧ -

- قلت إنه ليس من السهل إخافة والديك ؟
- هذا صحيح .. لا أظن أنه حتى تركى للبيت يمكن أن يزعجهما ..
- لكن لماذا تركت البيت ؟
- ظل صامتاً بعض الوقت ، ثم رفع يديه إلى وجهه وغطى بهما عينيه ..
- لقد حاولت بكل وسيلة ، ولم يكن قد بقى أعمى غير هذا ..
- لكن لماذا ؟ ماذا فعلت أو ماذا فعلوا هم ؟
- إننى أحاول أن أفهمهما إن لديهما أطفالاً ..

- ١٠٨ -

من المؤكد أن الليل هو المألوم والمستول ، والقمر وضوءه الفضى والسكون الذى من حولهما والشجرة .. من المؤكد أنه الليل .. فالتنهار لا شيء فيه ، ولليل : الأفكار .. هذا هو ما كانت تشعر به نينا .. أفكار جديدة .. أفكار أخرى .. أفكار الليل ..



- أنا أريدكم أن يدعوني وحدى ، مع نفسى أكثر

- وَأَنَا أُرِيدُهُمْ أَنْ يَهْتَمُوا وَيَنْشَغِلُوا بِي أَكْثَرَ

— ۱۱۱ —

سألته نينا : هل تحب أن يكون لك أبواي ؟

- لا .. إنهم قلقون عليك بفضاعة .. أنا أريد أبوى ، بالذات ..

- ولكنك تركتهما ..

- وأحبهما في نفس الوقت رغم هذا ..

- حسناً .. وأنا أحب أمی وأبی ، لكنی أرغب فی أن یحبانی كما أنا ..

إني أفكر في أن أترك البيت لهما أنا أيضا ..

تطلع إليها يفكر ، ثم قال ..

- إنك تركته لهما فعلاً ..

نظرت إليه في دهشة .. وهزت رأسها ..

- فعلاً ، تركتهما ..

- 112 -

سأله نينا : ألا يفهمان ، ألا يدركان ، أن لهما أطفالاً ؟

هنز رأسه ..

- لا ، إنهما يفكران دائماً في أنفسهما ، وهناك دائماً شيء خطأ .

هما يتنازعان ويتشاجران طيلة الوقت .. أُمِّي باستمرار ترتب حقيبتها

وتختفى من البيت ، ويمضى نئى وراءها ليعيدها إلى البيت .. باستمرار ،  
بلاستمرار ..

- الآن أستطيع أن أفهم لماذا تركت البيت ..

- لقد سألتها أن يكفيا عن الشجار والحرب .. نعم ، هما يستجيان  
لبعض الوقت ، ثم ينسيان كل شئ ، ويعودان من جديد .. وذات مرة  
أعلنت لهما نئى سوف ألقى بنفسى من النافذة إذا هما لم يتوقفا .. كان  
ذلك فى منتصف الليل ، ولم أستطع أن أقام بسبب عراكهما ..

- وهل فعلاً فعلت ذلك ؟

- نعم ، وانكسرت رجلى ، لكنهما استمرا على نفس النحو القديم ..

- ألم تحاول وسيلة أخرى ؟

- هددتهن بتعطيم أفضل طاقم أطباق لدينا إذا لم يسد الهدوء

- وهل أفلح هذا ؟ !

- نعم ، لكننى لم أحطم كل الأطباق ، توقفا قبل أن أنهى عليها ..

لكنهما بالليل عادا للشجار والعراك ، لذلك قمت وكسرت الباقى ..

- ألم يغضبا ؟

- بلى ، غضبًا غضبًا شديدًا .. ولم يكن لهما الحق فى ذلك ..

- وما هذا الذى قال أبوك لك فى الحديقة أمس ؟

- قال لى إنهما سيحطولان التوقف عن الشجار والتقار ..

- وهل ستعود للبيت ؟

- لا ، ليس قبل أن ألقى وعدًا جازمًا بأنهما سيكفان تمامًا عن خلق

~~~~~ ٨٨ ~~~~~

للمشاكل ، وعليهما أن يعدا بمزيد من التفكير فى أختى وفى أنا شخصيًا ،  
وليس فى أنفسهما فحسب ، وعليهما أن يعدا بأن يتعامللا بالحسنى ..  
وأريد ذلك كتابة ، لكى أطلعهما عليها إذا هما أخلا بالوعد ونسياه ..  
- وماذا سيحدث بعد الغد ؟

- إذا لم يعدنى بما طلبت فلن أعود إليهما أبدًا ..

- وإلى أين تمضى ؟

- لن أخبرا أحداً بذلك ..

- ١١٣ -

نينا ككت تعرف إلى أين سينهب .. إلى الكهف فى الغابة ، الكهف  
الذى تحفه المخاطر .. ككت نينا على ثقة من خطورة الموقف ..

- ١١٤ -

كان البيت الصيفى يتألق بياضاً فى ليالى الصيف .. كان مارتن نائماً ،  
يصدر شخير المعتقد ، وككت تلك الليلة تزدان بلون أزرق سحرى فى  
الغرف ، وإيقا تتنفس بصعوبة ، ونينا « تطير » بفضاء فى تلك الليلة .  
تطير نائمة !

- ١١٥ -

كان « زبلن » هو الشمس ، وتناثرت « حبوب زبلن » فى كل جسمها ..  
تناثرت بكل ألوان الصيف ، وتزددت جيئة وذهاباً أغنية زبلن « نينا نينا  
نينا ..

٨٩

واستیقظت ، کانت ایفا بجانبها ، تہزہا ..

- هل أنت مريضة؟ هل أصبت بعدوى؟

لم تنتبه نينا تمامًا لما تقوله أمها ، إذ كانت الشمس تتألق بداخلها بكل قوة ..

- 114 -

**قال مارتن : الدراجة ...**

الدراجة ! ..

مضت إيفا ونينا إلى النافذة ، وصاحت إيفا ..

- إني لا أكاد أصدق عيني

كانت الدراجة الخضراء تستند إلى السلام الأمامية ، وعليها علامة الشمس على مقبضها ..

- لكن دراجة ( جوهانز ) أُعيدت إليه بالأمس .. ماذا يعنى هذا ؟  
أريد تفسيرًا واضحًا لهذا ..

قالت إيفا : مارتن .. إني لا أكاد أصدق عيني

- لكنها ها هي أمامك ، حقيقة كيومنا هذا .. اسمعي ..

وامتدت يده تدق جرس الدراجة !

- ۱۱۷ -

جاء رجل الشرطة .. عاد رجل الشرطة . إنه لم يفهم شيئاً .. كذلك

( جوهانز ) لا يعلم شيئاً .. كانت الدراجة أمام باب بيته فى مساء أمس ..






لا أحد يدرك سر هذا الذى يجرى .. فقط : نينا .. لقد رأيت كيف يرتعدون خوفاً ، ويستشيطون غضباً ، مع أن المسألة لا تزيد على أن تكون دراجة خضراء ، انتقلت من مكان إلى آخر ..

— ۱۱ —

بقي يوم واحد .. غداً سيصبح الأمر غاية في الخطورة .. وفجأة عرفت  
 نينا ما يجب عليها أن تفعله .. لقد منحها « حلم زيلن » الإجابة ، وعرفت  
 لماذا صحبها إلى بيتها بالأمس .. عليها أن تحاول إنقاذه من مصيره ..  
 الكهف .. إنه إذا ذهب إلى هناك سيكون من الصعب نجاته أو إنقاذه ..

- 119 -

أقبل الجيران على فترات متقاربة .. تعلقوا بسور الحديقة .. أو جلسوا على المروج الخضراء .. أو في الشرفة .. كانوا جميعاً في ذهول لما يجري .. بعضهم قال في شجاعة إنه ( عبث أطفال ) لكن كانت هناك نغمة في أصواتهم تقول إنهم ليسوا على ثقة من كلامهم هذا .. ولم يلحظ أحد أن نينا قد اختفت .. تسللت من البوابة الخلفية للبيت ..

- ۱۲ -

كانت تريد أن تمضى مباشرة إلى البيت الأبيض فى وسط الغابة ..  
كانت ترغب فى أن تذهب لتصعد السلم الأمامى وتدق الباب .. وتقول  
بشكل واضح ومباشر إنهم يجب أن يرضخوا وينفذوا ما يطلبه ابنهم ..  
لكنها لم تجد لديها الشجاعة الكافية لذلك ..

تباطأت نينا فى خطواتها عندما لاح لها البيت الأبيض من بين الأشجار ..  
وجلست على التل .. إنها بهذا تكون إلى حد ما تحت أبصارهم ، وإلى  
حد ما مختفية عن أنظارهم .. وخرج الرجل من البيت ، وتوقف عند  
السلم ، ونظر إلى التل ، ولحها ، وسار نحوها فى ببطء .. إنها الآن لا تستطيع  
أن تهرب منه .

- ١٢١ -

قال وهو ينظر إليها فى دهشة ..  
- حسناً حسناً .. وهكذا جئت وحلك ؟  
أجابت نينا : نعم .. هو لا يعلم أنى هنا ..  
- أوه ! لا ؟ !

لم تعرف نينا ماذا يجب عليها أن تقول ، تبخرت كل الكلمات الشجاعة  
التي كانت قد أعدتها خلال سيرها فى الممر لكى تجاهر بها .. سألتها  
الرجل ..

- ألن يعود إلى البيت ؟  
هزت نينا رأسها ، أن لا .. لن يعود .. ظهرت على وجهه علامات  
الحزن ..

قالت نينا : لن يعود إلا إذا وعدتماه كتابة بما سألكما إياه !  
نظر إليها وقال : واضح أنك تعرفين الكثير .. أليس كذلك ؟  
- لقد قال لى كل شيء  
- ليس هذا بصحيح ، لأنه لا يعرف كل شيء ..

~~~~~ ١٢ ~~~~~

- سأله نينا : كيف عرفت أنه فى حديقتنا ؟
- طافت ابتسامة خفيفة على وجه الرجل ، وقال ..
- خمنت هذا عندما ترامت إلى مسامعى الإشاعات الغريبة ..
- لكن كيف عرفت أنه يجلس فى الشجرة ؟
- تطلع الرجل إلى نينا ، ثم إلى الغابة ، وإلى الممر .. وقال :
- إنها لىالى الصيف ..
- وسكت قليلاً وتطلعت هى إليه تبغى المزيد .. قال
- أنا أيضا أتجول فى ضوء القمر فى لىالى الصيف ..
- كان صوته يبدو وكأنه يأتى من مسافة بعيدة ، ومن أزمان سحيقة ..
- قالت نينا : إنه لم يكن يتجول .. إنه كان يجلس فوق الشجرة
- ابتسم الرجل برقة مرة أخرى .
- هذه الشجرة هى أكبر أشجار حديقتك ، ولها أقوى الأغصان ،
- وأجملها ، وهى لهذا تعطى الجالس فوقها الفرصة لكى يرى مساحة واسعة
- فى كل الاتجاهات .. ذلك هو السبب فى أننى خمنت مكانه .. ثم هناك
- شئ آخر ..
- وانتظرت نينا ..
- إنها شجرة رائعة لكى يجلس فيها المرء !
- هزت نينا رأسها ، إنها توافقه فيما قاله .. وساد بينهما الهدوء !

- ١٢٣ -

جلسا فى حديقة الدار على مقعد تحت الشجرة ، وترامت إليها أصوات من النافذة المفتوحة .. ترى هل هى الأم ؟ هل كانت الأصوات غاضبة ؟ هل تناقشا وتشاجرا وأصبحا أعداء من جديد ؟ يبدو عليه أنه رقيق ومسلم ، وكأنه من غير الممكن أن يدخل فى نقاش حاد مع أى إنسان فى العالم ..

- ١٢٤ -

- هالو .. إن لدينا ضيفة زائرة  
وظهر ذراع بنى اللون ووجه باسم فى النافذة ، كانت عيناها أيضا باسمتين ..  
نظرت إلى نينا فى حنان وقالت ..  
- أنا أعرف من تكونين .. أنت التى أعرت شجرتكم إلى ابنا ..

- ١٢٥ -

جلسوا ثلاثتهم على المقعد فى الحديقة تحت الشجرة .. والداه .. إنهما ليسا كما تصورتهم .. إنها لا تستطيع أن تتخيل أن هذه المرأة يمكن أن تحمل حقيبتها وتغادر البيت . ولا تتصور أبداً أنه من الممكن أن تكون هى وأبوه أعداء ، جلسا جنباً إلى جنب ، والتفتا لبوابة كل منهما الآخر .. وتذكرت نينا كلا من إيفا ومارتن ، أبويها .. مارتن على السلم ، وإيفا فى المطبخ .. بعيدين تماماً عن بعضهما !

٩٤

- ١٢٦ -

قالت نينا : إبنى لا أعرف حتى اسمه ..

- ألم يذكره لك ؟

لاحت ابتسامة صغيرة على وجه الأم ، وقال الأب ..

- أستطيع أن أتصور هذا ، أنا على ثقة من أنه سوف يذكره لك عندما

يريدك أن تعرفيه ..

- ١٢٧ -

- اسمى إيلي ..

- اسمى أوسكار ..

وَأنا اسمى نينا ..

- ١٢٨ -

- يجب أن تقنعيه بضرورة العودة إلى البيت ، وقولى له إن كل شيء

على ما يرام ؟

قالت نينا : هذا لا يكفي .. هو يريدكم أن تعدوه بأنكم لن ...

وفجأة وجدت نفسها غير قادرة على أن تواصل الكلام .. واحمر وجهها

ونكست رأسها إلى الأرض !

- ١٢٩ -

قالت إيلي : إننا نعرف أنه يريد منا وعدًا قاطعًا ..

~~~~~ ٩٥ ~~~~~

قال أوسكار : إنه يشعر أننا ننسى أن لدينا أطفالاً وأننا لا نفكر إلا في أنفسنا ..

قالت نينا : واليوم جد خطير ، إذ تنتهى المهلة التى حددتها لكم ..

نظر إليها أوسكار بانزعاج وقال : جد خطير ؟ !

وسألت إيلى فى قلق : ماذا يعنى هذا ؟

قالت نينا فى حزم شديد : لا أستطيع أن أقول شيئاً ..

- ١٣٠ -

قال أوسكار : نحن نحب ابنتا ولبتنا ..

أضاف إيلى : ويحدث أحياناً أننا نخلف ، ونتناقش فى حدة ، وقد نتفصل بعض الوقت ، لكن هذا الذى يجرى ليس دائماً بالخطورة التى يتصورها ..

قال أوسكار وهو ينظر إلى يالى : لا ، ليس دائماً ..

قالت إيلى وقد عقدت جبينها : إنها ليست غلطى وحدى

قال أوسكار : لا ، أنا لم أفل هذا أيضاً

قالت إيلى : لكنك تعنيه .. تقصده ..

- لا لا لا .. لا أعنى هذا ولا أقصد ..

قالت إيلى فى صوت أكثر وداعة : لا داعى لأن تناقش هذا الآن ..  
علنا ضيفة ..

ونظر اتجاه نينا فى اضطراب ، وقال أوسكار :

٩٦

تستطيعين - كما سمعت - أن تعرفي أننا نختلف وقد نحتد ، ويحاول كل منا أن يثبت للآخر أنه هو الذى على صواب ..

قالت إيلي : نعم ، وبالذات واحد منا !

وغرق أوسكار فى صمته ، وبادلها النظرات ، وقال ..

- ولكننا زوجان ، وكل منا معجب بالآخر على الرغم من كل شيء .. أليس كذلك ؟

ابتسمت له إيلي ، ابتسمت أكثر قليلاً مما ابتسمت نينا ..وقالت :

- وهكذا ترين أنه من الصعوبة بمكان أن يبدل طرف ما جهداً ولو كان ذلك لصالحه الخاص ..

كانا يتكلمان ، وكأنها تفهم هذا الذى يقال .. قالت نينا

- هو يقول إنكما لا تفكران إلا فى أنفسكما .. فقط ..

وسكتا ..

- ١٣١ -

قالت إيلي : يا ولدنا المسكين ! إنه يظن أننا ندفعه لترك البيت .. ليس من السهل أن يكون المرء صغيراً وقلقاً ..

قالت نينا : إنه ليس بصغير ولا بقلق ..إنه كبير وشجاع ولديه الجسارة التى تجعله يأتى بأعمال كثيرة ومبهرة ..

وتبادلا النظرات ..

قال أوسكار : الواضح أننا نعرفه بطرق مختلفة ومتباينة ومتغايرة ..

~~~~~ ٩٧ ~~~~~





- الشيء الرائع فى ابتنا أنه ينفذ ما يقوله ، ويعمل بما يراه ..  
وتذكرت نينا ما قاله لها عن اليوم الذى قفز فيه من النافذة ، واليوم  
الذى حطم فيه الأطباق .

- فى الأسبوع الماضى حدث مرة أخرى أن تبادلنا كلمات تتجاوز ما تعنيه .. كان ذلك فى اليوم الذى قال فيه إنه غير قادر على احتمال ما يجرى .. وقرر أن يتركنا .. وفعلاً نفذ هذا ..

قالت نينا : وهو سيعود إليكما إذا ما فكرتما فيه أكثر وأعطيتماه عناية أكبر .. إنه لا يمكنه أن يتحمل كل هذا النقار والشجار .. إنه يسبب له حزنًا كبيرًا ، ويؤذيه أذىً عميقًا ، ويجعله يصرخ ويكي ، ويتصرف بلا تعقل و ...

وسكنت نينا فجأة .. إنه لم يقل كل هذا لها ، ولكنها شعرت بأن هذا يمكن أن يحدث معها عندما يتشاجر أبوها مع أمها .. لقد كانت تتكلم عن نفسها ..

- ۱۲۲ -

قال أوسكار : نحن لا نستطيع أن نعد بهذا  
وقال إيلي : نحن نستطيع فقط أن نبذل أقصى جهدنا  
- إن عليه أن يدرك أننا نحبه ونهتم به ونرعاها ، ولا أستطيع أن أفهم  
قط قوله بأننا لا ندرك بأنه لدينا أطفالاً ..لأننا نعرف ذلك عن يقين ..  
استمعت نينا إليها ، وفي تقديرها أنهما يسيطران الأمور بأكثر  
مما يجب ..إنه بهذا لن يعود إليهما ..قالت ..

- هذا لا يكفي.. قلت لكما إن غداً سيحمل كوارث رهيبه !

تبادلوا النظرات في خوف وفرع ..

إن الأمور أصبحت أكثر صعوبة وتعقيدًا بالنسبة لهما ..

- ۱۲۴ -

تلفتت نینا من حولها

كان التل يخفى البيت .. تراجعت للوراء بضع خطوات ،رأت البيت

ما زال في مكانه .. إذن ، هي كانت هناك بالفعل ..

- 120 -

**قال مارتن : الليلة ..**

**قالت أيضا : الليلة ..**

قال مارتن : سوف أظل مستيقظاً طيلة الليلة ، وإذا لم تكن الشرطة

قادرة على أن تصنع شيئاً ، فإن علىّ أنا أن أحاول .. ولن أكون

مَهذَّبًا .. رَقِيقًا .. عِنْدَمَا أُمْسَكَ بِتَلَايِبِ « أَيْامِنِ كَانَ » الَّذِي يَزْعِمُنَا كُلَّ

هذا الإزعاج ..

- 127 -

كانت هناك سحب سوداء يحدها إطار أبيض ، مما ينذر بجو ممطر على

الحديقة ..صحت نينا .. مشيت بأقدامها العارية فوق الأرض .. كانت إيفا

وحدها النائمة ومضت إلى السلم بهدوء وحذر .. كان مارتن نائماً ،

ويراقب الأمور جالساً إلى مائدة المطبخ .. وهناك فى الخارج فى الحديقة







تعرّفهما .. هذان لم تعرفهما من قبل .. إنهما يبدوان صغيرين ،  
ولا يمكن ..

- اَينَ يَمكِنُ اَنْ تَكُونِ ؟

## ماذا حدث؟

— الشرطة يا مارتن

- هذا أفضع شيء فى الأمر

— انہا ابتنا

كلمات مبتورة ، ممزقة ، تطير إليهما حيث هما ، وتصلهما بأصوات  
يائسة .. كان فى استطاعة نينا أن تقفز إلى الأرض . إليهما وتقول : « ها  
أنا ذا » .. هى تستطيع أن تعيد إليهما سعادتهما ، لكنها بقيت حيث هى  
متعلقة بالغصن المتأرجح ، لم تكن تعرف ماذا تفعل .. وهما يجريان هنا  
وهناك ، كأنهما طائران بأجنحة محطمة .. كأنهما ورقتان فى مهب الريح ..  
يلفان ويدوران ، بلا تفكير ، ودون أن يعرفا ماذا يفعلان .. قال مارتن  
وهو يحاول أن يعزى نفسه وإيفا ..

- لا يمكن أن يكون أحد قد دخل البيت وإلا فإننا كنا سنحس به ونسمعه ..

- لکن ، اِذْن .. اِذْن لا بد وَاَنْ تَکون قد خرَجت بِمَحْضِ اِرادَتِها ورَغْبَتِها ..

صرخ مارتن : إنها غلطتك .. إنك أنت التي دفعتها لهذا الذي فعلته ..  
وساد الصمت ..









وهزتها أذرع مارتن ، وهو يصرخ فيها :

- أجيبني ! سوف تردن على أسئلتى ..لقد ظللت صامته على مدى أسبوع كامل ، لكننى الآن يجب أن أحصل على جواب ..

صرخت إيفا : مارتن ، ما هذا الذى تفعله ؟

فجأة ، وتركها تمضى من بين يديه

- سوف أجد بنفسى تفسير كل هذا ..

ومضى نحو الشجرة ، فصرخت نينا : لا .. لا .. وألقت بنفسها على أيها ، وحاولت أن تمسك به ، وقد أخذ مارتن بحركتها هذه ، وأذهلته ، فتوقف ونظر إليها ، وقال لها فيما يشبه الهمس ..

- ماذا يعنى هذا ؟

- إنه غير مسموح لك .. إنه غير مسموح لك .. ممنوع ، ممنوع ! كانت نينا تصرخ بهذه الكلمات بنفس الطريقة التى كانوا يصرخون بها .. وحرر مارتن نفسه منها ، لكن نينا عادت إليه مرة أخرى ، وطوقته بذراعيها وأنشبت اصابعها فيه ،وراحت ترفس بقدميها ..

- نينا ، ما هى حكايتك ؟ ماذا بك ؟

حاول مرة أخرى أن يحرر نفسه منها ، غير أنها لم تستسلم ، وظلت متشبثة به ، صارخة فيه :

- إنه غير مسموح لك .. إنه غير مسموح لك ..ممنوع ، ممنوع !

وظلت تصرخ حتى بح صوتها ، وقد انطلقت صرخاتها عبر كل الحديقة ، والشجيرات والمروج الخضراء ، إلى أن وصلت إلى الجيران ، فأضيت

~~~~~ ١٠٨ ~~~~~

المصاييح فى البيوت ، وفتحت الأبواب .. وفجأة قفز شبع من الجانب الآخر من الشجرة ، وصرخت إيفا وهى تشير إليه ..

- انظر هناك ..

انطلق ذلك الشبح فوق الحشائش الخضراء ناحية الجانب الخلفى للبيت ، وحاول مارتن أن يقتفى أثره ، لكن نينا ظلت ممسكة به ، وهى تصرخ وتبكي : لا لا .. ذلك أن مارتن كان يريد أن يتسلق هذه الشجرة ، وكان يريد أن يمضى وراء الولد الذى كان فوق الشجرة ، ولأنها سمعت بوابة الممر تنغلق بواسطة الرياح ، ولأنها أحست أنها لن ترى الولد مرة أخرى راحت تصرخ وتولول ، وقد أقبل الجيران من كل ناحية فوصل إلى أسماعها وقع أقدامهم على المروج الخضراء ، ولحت أضواء مصابيحهم ..

- ماذا هنالك ؟

- ما الذى يجرى؟

مرة أخرى راحوا يتكلمون جميعًا ، معًا .. وكانت نينا قد سقطت  
سقطه مدوية فوق الحشائش ، ورأت بعض أضواء المصابيح الصغيرة تتجه  
ناحية بوابة الممر ..

- 181 -

وانقضت بقية الليلة فى أصوات واستجوابات وفناجين القهوة .. وقد رقدت نينا تحت اللحاف ، وترامت إليها أصوات من تحت ، من الحديقة ، وجاءت إليها إيفا ، وجلست على حافة الفراش وحاولت أن تتكلم ، لكن نينا لم تنطق بحرف واحد ..

ووصل الطبيب ، وفحصها .. وفجأة طلع الصباح ، بشمسهِ المشرقة  
ودفئه .. وقد بذلوا كل المحاولات .. حاولوا بالرقّة والعطف .. وحاولوا  
بالضغط والتهديد الخفيف ، لكن نينا ظلت صامته .. إنها لم ترهم .. لقد  
أجلسوها فى مقعد جلسة مستقيمة ولكنها لم تكن موجودة ، كانت شبه  
غائبة عن الوعي ..

ثم جاءت الشرطة ، والجيران ، وآخرون .. كانوا يريدون أن يفتشوا  
كل الأحياء المجاورة والغابة القريبة .. وانطلقوا جميعاً .. وبقيت إيفا ونينا  
وحدهما .. كانت نينا على يقين من أنهم لن يعثروا عليه ولن يصلوا إليه ..  
وعاد مارتن إلى البيت مرهقاً ممزقاً بعد ساعات طوال من البحث وتطلع  
إلى نينا كأنما هى شخص أجنبى .. واستمرت نينا جالسة فى مقعدها فى  
صمت مطبق ..

- ١٤٢ -

وفى وقت متأخر من بعد الظهر عاد رجل الشرطة .. وجلس الكبار  
الثلاثة بجانب نينا ..

قال رجل الشرطة بعد أن تطلع إليها ملياً :

- هل تريدان أن تقولى لنا ماذا حدث ؟

نظرت نينا عبر النافذة ..

- هل أغراك بالخروج من البيت ؟

لم تكن هناك ريح تداعب الأشجار ، الآن ..

===== ١١٠ =====

- هل آذاك فى شىء ؟ فىما كان يتحدث . تعرفين أنه من الضرورى أن نجده ، لأن ما فعله غاية فى الخطورة ..

سألته نينا : ماذا فعل ؟

ذهل الجميع ، لأنها فجأة قد تكلمت ..

قال رجل الشرطة : إنه ... ثم تردد ، وصمت ..

قالت : إنكم لا تفهمون أى شىء على الإطلاق

- نينا ، من فضلك .. نرجوك ..

كان مارتن وإيفا مذعورين مفزوعين ، لكن نينا عادت إلى الصمت المطبق مرة أخرى .

- ١٤٣ -

وفى ساعة متأخرة من ذلك المساء كانت هناك دقائق على الباب .. إنه الرجل الذى شوهد واقفاً عند البوابة .. نظرت إليه إيفا

ورفع بصره على نينا وابتسم ، قائلاً : أهلاً

أجابت نينا : أهلاً ..

ذعرت إيفا ، ونظرت إليها ، ثم تطلعت إلى الرجل .. الذى قال :

- أعتقد أنه من واجبى أن أوضح بعض الأمور وسوء الفهم الذى حدث ..

قال له مارتن : أوه ! ماذا ؟

- نعم ، لقد سمعت آخر الإشاعات ، والآن وقد أصبحت على درجة

===== ١١١ =====



كبيرة من الخطورة كان على أن أضع حداً لها ، كما أتنى أريد من ابتكم  
أن تعينى وتساعدنى ، وذلك فى مقدورها ..

**نظرت إليه ايضا فى رية وشك ، وقالت : من نينا ؟ !**

- نعم ، إنها الشخص الوحيد الذى يعرف أين يمكننى أن أجد ابنى ..

- 144 -

عقب ذلك نظر الجميع إلى نينا في دهشة بالغة ...

— لماذا لم تقولى لنا كل هذا ؟

— لقد أفرغتنا بشدة

ظلت نينا على صمتها ، ونظر إليها الرجل ، فبادلته نظراته .. قال ..

— ربما لم يكن مسموحًا لها بأن تقول

— غیر مسموح ہا ؟

— لکن ، نینا ، کیف ممکن اُن تصدقی ..

لكنها لم ترد ..

- 140 -

سألت إيفا الموجودين : ماذا سنفعل الآن ؟

قال أوسكار : يجب أن نحاول إعادة ابني

قال مارتن : نعم ، أنا أرى هذا أيضًا .. وأعتقد أن ابنك يستحق الضرب

عقاباً له على ما فعل ..

رد الرجل : لقد أزعجكم ، ما من شك فى ذلك .. هل تعرفين أين هو  
يا نينا ؟

هزت رأسها : أى نعم ..

- هل باستطاعتك أن تأتي به ..

هزت رأسها : أن لا ..

قالت إيفا وهى فى حرج : ولكن يا نينا ، لابد لك من هذا ..

قالت نينا : يجب أن يقرر هو بنفسه ولنفسه إذا كان يريد أن يأتى ..

هز أوسكار رأسه ، وقال : ولكن فى استطاعتك أن تذهبي إليه وأن  
تبلغيه أننا نريده أن يعود ..

- لن أذهب إليه إذا كان سيعاقب ، لأنه لم يرتكب أى خطأ على  
الإطلاق ..

لم يصدق أبوها أذنيه .. قالت نينا ..

- لا ، لم يرتكب أى خطأ .. كونوا على يقين من هذا .. إذا وعدتم  
بأنكم لن تعاقبوه قط ، ولن تمسوه بأذى ، ربما يكون فى مقدورى أن  
أذهب ..

كان مارتن : « والدها » صامتاً .. أضافت نينا ..

- هل تعدون ؟

نظر أبوها إليها فى ذهول ، بينما انتظر أوسكار وإيفا الرد ..

سألت نينا مرة أخرى : هل تعدون ؟

قالت إيفا : هل تستطيع أن تعطيها هذا الوعد يا مارتن ؟ إنه على كل مجرد ولد صغير ..

قال مارتن : لا أظن أن من الممكن بعد كل ما فعل ألا يعاقب ..

قالت نينا : فى هذه الحالة لن أذهب ..

قالت إيفا : مارتن .. أرجوك ..

قال أوسكار : الحقيقة أن الأمر لم يكن يشكل خطورة لهذه الدرجة ..

رد مارتن فى غضب : هل أنتم جميعاً ضدى ؟ كلكم على ؟

ولم ينطق أحد بكلمة .. وانتظر الجميع

قال مارتن : حسناً .. حسناً .. يجب أن أَرْضِخ ، لكن يجب أن يسمح لى بأن أخبره بأن عليه ألا يفعل شيئاً من هذا القليل مرة أخرى .. هل توافقين على هذا يانينا ؟ !

قالت : على أن تقول له هذا فى رقة ، وبلا غضب ..

قال أبوها : حسناً ، سأحاول ..

نظر إليها أوسكار وقال : هل لك أن تسأليه أن يعود إلى البيت ؟ قولى له إننا سوف نبذل أقصى الجهد ، هذا هو كل ما نستطيعه ، وإننا على كل ستتكلم عن أشياء كثيرة .. ولا أستطيع أن أعدّه بأن كل شيء سيكون رائعاً ومثالياً منذ الآن ، لا .. سنحاول ..

هزت نينا رأسها ..

سأل مارتن نينا : هل تجرئين على الذهاب ؟

فكرت نينا فى الممر ، وفكرت فى الفرسان ، وفى الذئاب ، وفى  
العنكبوت العملاق ، وفى الرجال الطوال النحاف الذين يضعون على  
رءوسهم قلنسوات سوداء ..

- هل تجرئين على الذهاب ؟

إنها الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يودى هذه المهمة ، والذى يعرف  
الطريق ويمكنه أن يمضى فيه .. لقد فهمت الآن لماذا أخبرها بالممر والكهف  
والمخاطر .. إنه يريد منها أن تعثر عليه وتعيده ، إذا ما شكل الأمر خطورة  
فضيحة يوماً ما .. كان يعتمد عليها ، ويجب أن تثق فيه .. ما كان ليقول  
لها لولا ثقته فيها وفى قدرتها على التغلب على هذه المخاطر ..

قال مارتن : أظن أنه من الأفضل أن أذهب معك ..

لا يمكن ، لابد من أن تذهب وحدها ..

- قد أتبعك عن بعد ..

كان هناك فى صوته شيء ما ، لم تسمعه من قبل .. هزت نينا رأسها ..  
ذلك ممكن ، ومقبول .. فقد يحدث ما لا تحمد عقباه .. وقفت ، وبحشت  
عن مصباح صغير ، وتبعها مارتن إلى الباب ..

- نينا ..

التفتت إلى الوراء ، لتجد أمها تنظر إليها بعيون مليئة بالدموع .. ثم  
هزت رأسها ، ونظرت إلى المائدة ، ولم تقل شيئاً آخر ..

سارا حول المنزل ، نحو البوابة الخلفية ، وكان الظلام حالكا بين الأشجار ، تلك الظلمة التي كانت تخشاها .. ومضى مارتن من خلفها فى الممر ، ولم يكن يدري ماذا يقول .. ما كان باستطاعته أن يمر بيده من فوق شعرها كما كان يريد ، ولا فى مقدوره أن يربت على كتفها كما كان يرغب .. لقد شعر بغرابة الموقف : أن يسير وراء نينا ، والعادة أن يحدث العكس ..

ووصلا إلى حيث ينتهى الممر ، وأضاءت نينا المصباح ، ووجهت ضوءه نحو النباتات الطويلة السيقان .. لم يتته الممر بالكامل ، لكن كان هناك طريق ضيق وسط النباتات عليها أن تمضى فيه ..

قالت نينا لأبيها : تستطيع أن تنتظرني هنا

سألها : هل تجسرين على المضى وحدك داخل هذه الأحراش ؟  
أجابت : نعم ..

- عليك إذا خفت أو حدث شيء أن تصرخى وتنادينى ..

- طيب ..

- سأنتظر هنا إذن ..

ومضت نينا

رأى الضوء الذى يشعه المصباح الصغير ، يسبقها وهى تمضى للأمام .. وتواترت أفكار جديدة خطرت له ، ما كان يريد أن يفكر فيها ،

وما كان يعرف كيف يفكر فيها .. إنها أفكار تدور حول كون المرء :  
كبيراً وصغيراً .. كانت نينا كبيرة بحق وهى تمضى وحدها وسط  
الأحراش المظلمة ..

قالت له : أبي ؟

— نعم —

- هل تجرؤ على الوقوف هنا وحدك ؟

أجابهـا فى ثقة : نعم .. ثم أضاف .. أظن ذلك ..

- 149 -

أصبحت الغابة أكثر كثافة ، ثم عاد الممر مفتوحاً واضحاً مرة أخرى ..  
كان الظلام يختفى بين الأغصان ، ظلام كثيف دامس .. كان قلبها خائفاً  
غير أنه كان هناك مع دقائق قلبها صوت يردد : زيلن .. زيلن .. لذلك  
مضت غير هيابة ولا وجلّة ، يقودها شعاع ضئيل من مصباحها الصغير ،  
ولم يكن ضياء القمر فى استطاعته أن ينفذ عبر الأشجار المتشابكة .. هس ،  
ما هذا ؟ .. كان هناك صليل .. شخصاً ما أخرج سيفاً .. إنهم الفرسان  
الأربعة .. كلها مضت ولم تتلفت حولها .. وكانت هناك شجيرتان على  
جانبي الممر ، تشابكتا ، وحالت بينها وبين المرور .. ولا بد لها أن تسير ..  
وفى الحال عرفت كيف يمكنها ذلك .. قالت : زيلن .. وتساقطت  
السيوف الأربعة على الأرض ، محدثة صليلاً ، واتسعت الفرجة بين الشجرتين  
ومرت .. ثم أصبح الممر منحدرًا ، وسار من حول صخرة كبيرة اعترضت  
طريقه ، وتحرك شيء ما بين الشجيرات ، وسمعت خربشة وعواء ، وانعكس  
الضوء على اسنان بيضاء حادة ، همست زيلن .. وتوقف العواء ، وسكنت





لم يجب

وتذكرت المائة عام التي يمكن أن يقضيها في الكهف .. وقالت ..  
- لسوف أكون هنا طيلة الصيف ، وأظن أنه من الممكن أن نكون  
أصدقاء ..

وانتظرت ، إلا أنه لم يرد

- هل ستأتني معي إلى البيت الآن؟

- ریمہ ..

– ما عاد باستطاعتنا أن نستخدم الشجرة ، فقد كشفوها .. لكن بمقدورنا أن نجد مكاناً آخر ..

قال : أعرف مكانا ..

- هل ستأتني الآن ؟

- لا .. لست أدري

بدأت تأخذ طريقها إلى الممر ، سأها ..

- هل ستغادرینی ؟

- نعم .. اُبی فی انتظارِ ..

وقفت ساكنة ساكنة ، وكذلك الولد .. ثم قال ..

- إنك لا تعرفين حتى اسمي

- لا أعرفه ، لكن أعرف من أنت

ومشت مبتعدة ، وسارت بين الأشجار ، وأتأها صوته ..

- ولا تعرفين أيضا معنى كلمة زبلن  
قالت : لا ، لا أعرفه .. لكننى أعلم كيف تؤدى مهمتها  
ثم ساد الصمت .. ومضت عائدة من فوق الممر .. وفجأة وصلت  
أضواء القمر إلى ما بين الأشجار ، وأطفأت نينا مصباحًا ...

\* \* \*

|                |                    |
|----------------|--------------------|
| رقم الإيداع    | ١٩٩٤ / ١١٤٤٩       |
| الترقيم الدولى | ISBN 977-02-4817-7 |

٧ / ٩٤ / ٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة  
واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة  
المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام .

ظهر منها :

- |                         |                                |
|-------------------------|--------------------------------|
| ١ - عمرون شاه           | ١٨ - الربان بلود               |
| ٢ - مملكة السحر         | ١٩ - تيودورا                   |
| ٣ - كريم الدين البغدادي | ٢٠ - أوليفر تويست              |
| ٤ - آلة الزمن           | ٢١ - دافيد كوبر فيلد           |
| ٥ - الأمير والفقر       | ٢٢ - في مهب الريح              |
| ٦ - كتاب الأدغال        | ٢٣ - الفخ الذهبي               |
| ٧ - ينوكيو              | ٢٤ - عودة المحارب              |
| ٨ - نبوءة المنجم        | ٢٥ - حصان طروادة               |
| ٩ - روبن هود            | ٢٦ - نساء صغيرات               |
| ١٠ - دون كيشوت          | ٢٧ - توم سوير                  |
| ١١ - ايفنهور            | ٢٨ - الأربعة الذين سرقوا الزمن |
| ١٢ - جزيرة الكنز        | ٢٩ - الربان الجريء             |
| ١٣ - كنوز الملك سليمان  | ٣٠ - العم نعناع                |
| ١٤ - سجين زندا          | ٣١ - أم حنان                   |
| ١٥ - الزنبقة السوداء    | ٣٢ - كوخ العم توم              |
| ١٦ - مون فليت           | ٣٣ - سميراميس                  |
| ١٧ - مقبرة الأفيال      | ٣٤ - بنت قسطنطين               |

٣٥ - صديقي فوق الشجرة